كورني

السيد

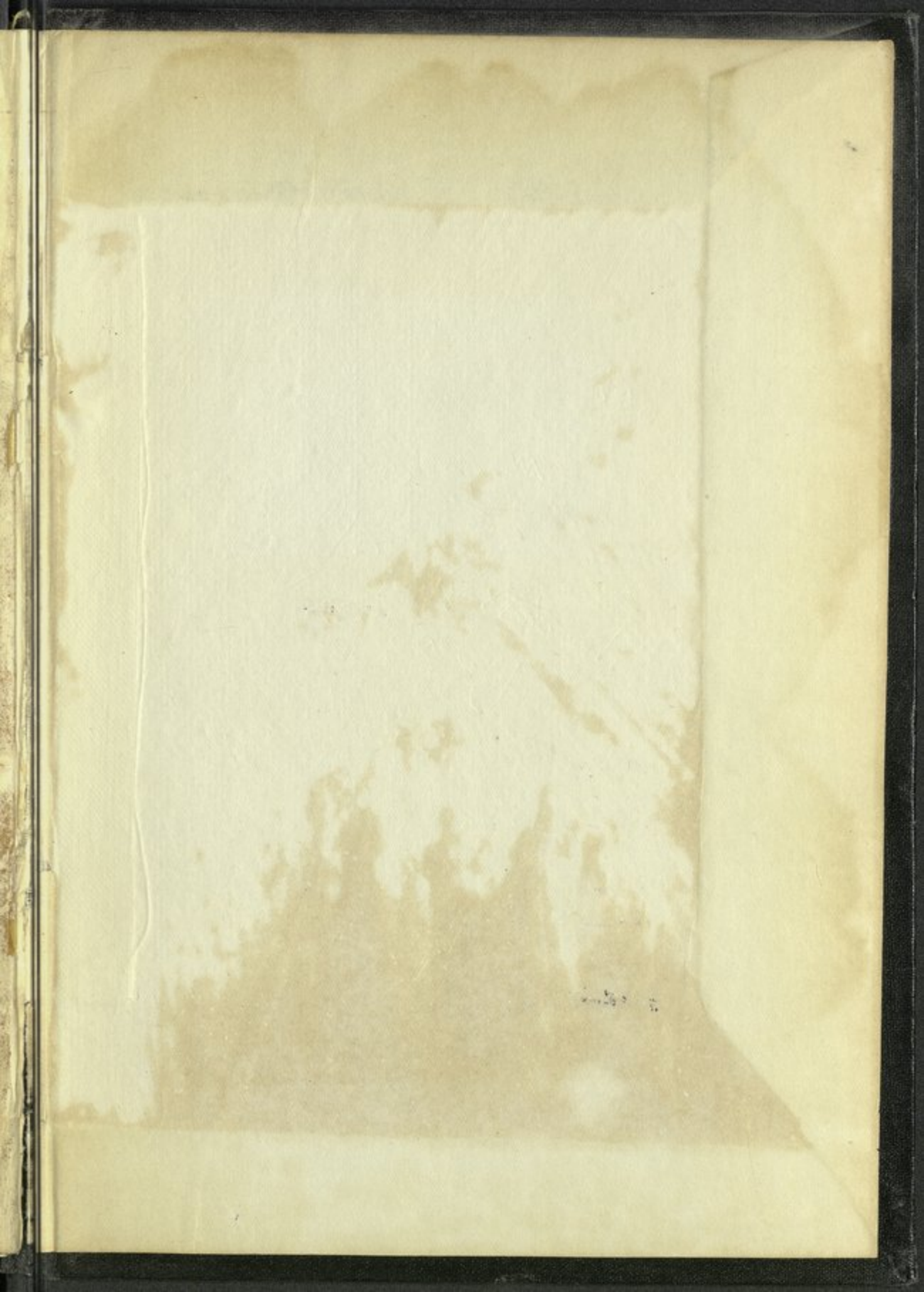

842.4:C81sA[redacted] C.2
كورني ، بيير .
السيد .
AUG 22 x 1078
FEB 20 R326

842.4
C81sA[redacted]
C.2.

[redacted] 1 Oct 72

MR 13 '56
[redacted] 19 '5[redacted]
[redacted] 25 '56
1 - Oct 68
[redacted] OCT 1978

تمهيد

لم اكن ادري أن القدر سيلقي على عاتقي عبء هذا العتاد الثقافي يوم أن غادرت أرض الوطن الى بلاد المهجر أكدح في مناكب الارض متغرباً زُهاء اربعين عاماً

وفجأة بعد ان تساقطت فروع أسرة عبده مطران نعى اليّ البرق شقيقي المغفور له شاعر الاقطار العربية خليل مطران بك. فلم اجد بدًّا من العودة الى الديار متخلياً عن كل عمل، مستعيناً بجميع الوسائل على تخليد هذا التراث الادبي والاجتماعي، وقد وجدتُ في مريد أخي وربيبه الاديب الكبير الاستاذ السيد محمد ابو المجد الساعد الأيمن والعين الفاحصة والذاكرة الدارسة المستوعبة لجمع هذه الاشتات، واستنطاق تلك الاوراق، وتبويبها وضبطها والتعليق عليها والتقدمة بين يديها

وحسبي من الحياة انني اودعها ذمة الحقيقة والتاريخ، ولا يفوتني ان أسجل للعميدين العظيمين والصديقين الحميمين لأخي الدكتور يوسف نحاس والوجيه يوسف توتنجي عظيم الشكر لِما أبدياه من خالص الودّ وجميل العون

البير مطران

• • حق الطبع والنشر والتمثيل والإذاعة والإعادة محفوظ للورثة • •

842.4
C81sA
c.2

السيد

تأليف الشاعر الفرنسي كورني

تعريب

خليل مطران

جميع الحقوق محفوظة
١٩٥١

المطبعة البولسية
حريصا - لبنان

٩٦٥

UNIVERSITY OF TORONTO
LIBRARY

كلمة
في
مسرحية «السيد»

محقَّق أن «مسرحية السِّيد» كانت في مقدمة الروائع التي من اجلها لُقِّب «كورني» بأبي التراجيديا في فرنسا، اذ تفوَّق بها على سائر واضعي الروايات في عصره فأكبره أولو الالباب، ولا عجب فقد ابتكر في المأساة صياغة لم يكن لهم بها عهد، معلياً شأن العقل على العاطفة، والحزم على الهوى، مقوِّماً أشخاص مسرحياته تقويماً إنسانيًّا رفيعاً، وكأنه يوحي بما يجب أن يتصف به الكائن الانساني في هذه الدنيا ويجري في الوقت ذاته على ألسنة شخوص مسرحياته كلاماً من السهل الممتنع لا يسامى بشرف أسلوبه وبلاغة عبارته

وقد اخذ «كورني» موضوع مسرحيته عن أصلين اسبانيين، قصصي وتمثيلي، ولكنه تصرَّف في الموضوع تصرفاً بديعاً جعل فيه محور الحركة ضرباً من الحب لا تستقل به الَّا أشراف النفوس ولا يتغلَّب في صراعه القلب على العقل، وآية ذلك الحب في لباب الرواية أن «لذريق» ينتقم لابيه بقتله «الكنت» والد معشوقته على أن اول همّه في ذلك الانتقام هو أن تعلم «شيمان» انه مع شدة شغفه بها لم يحجم عن الاخذ بثأره من أبيها حذرَ

الأخلال بما يقتضيه الشرف، وخوف النزول من نفسها منزلة غير الكفء لهـا ؛ وكذلك «شيمان» من ناحيتها، فانها تتعقب حبيبها لتأخذ منه بثأر أبيها، على ان اكبر باعث في ضميرها لتلك المقاضاة بلا رحمة ولا هوادة هو ألّا يجد «لذريق» منها وهناً بغرامه، فهما بحيث لو قصَّر احدهما في تلبية داعي الشرف، لعدَّه صاحبه غير جدير بموقعـه من كرامته وهواه . وفي نهاية هذه المصاولة النبيلة بينهما ينتصر الواجب على الحب، والعقل على الهوى

هذا التحليل المعنويُّ في مقوّمات بطلي الرواية سبق به «كورني» معاصريه، وناهيك مـن عجب فيه بأن التنافس بين الشمائل والشيم، متحاذيةً أو متعارضة او مصطدمة، يؤثر في نفوس الجمهور ما لا تؤثره فيه المواقف المحيّرة، والحوادث المفاجئة، والطوارئ الفاجعة التي تتتابع لمجرد استثارة الجمهور

فللمزايا السابق تلخيصها أخذت مسرحية «السيد» منذ بدئ بتمثيلها منزلتها من الجمهور، فأعظموها وضربوا بها المثل في الروعة، فقيل في كل شيء بلغ الغاية من الحسن : «هو جميل كالسيد»

وقد ظلّت هذه المسرحية على طول المدى وبعد العهد وتحوّل الاذواق، يعاد تمثيلها على المسارح فتصيب حظها من رغبة الجمهور في الاقبال عليها، والرضى عنهـا ؛ ولا غَرْوَ فإن كل ما تصدر به العبقرية عن مصادر الجمال الفني العريق يكون ذا جدَّة لا تَبْلَى، وروعة خالدة الأثر في كل زمان ومكان

قدّمت الفرقة القومية هذه المسرحية لأول مرة بدار الاوبرا الملكية في عام ١٩٣٦، وتوّلى اخراجها على المسرح الاستاذ العبقري «زكي طليمات» عميد المعهد العالي لفن التمثيل العربي، والمدير الفني للفرقة المصرية، ومراقب شؤون التمثيل لوزارة المعارف

السيد محمد ابو المجد

اشخاص الرواية

دُن فرناند : ملك مقاطعة قشتالة

دن دياج : والد «لذريق» ومرشد لامير قشتالة

دن غوميز (الكنت) : سيد مقاطعة جورماس ووالد «شيان»

دن ردريك (لذريق) : حبيب «شيان» ويود الاقتران بها

دن سنش : ينافس «لذريق» في حب «شيان»

دن أرياس
دن ألنس : شريفان من اشراف المقاطعة

السيدات

دونا اوراك : بنت الملك دن فرناند ملك «قشتالة» وتنافس «شيان» في حب «لذريق»

شيان : بنت «الكنت دن غوميز»

ليونورة : مربية «بنت الملك»

الثيرة : مربية «شيان»

وصيف

– القرن السابع عشر –

الفصل الاول

المشهد الاول

شيان - الفيرة

شيان : أي الفيرة، هل خبَّرتني الخبر اليقين، ولم تخفي عليَّ شيئاً مما قاله أبي ؟

الفيرة : كل جوارحي ما زالت تهتزّ طرباً لما سمعته منه، وان مكان لذريق من رعايته كمكانه من حُبِّكِ، فَإِلَّمْ اكن قد خُدعت في استطلاع طلع نفسه، فهو سيتقدم اليكِ بأن تجيبيه الى هواه

شيان : إذن اعيدي عليَّ، ولك الشكر، ما استدللتِ منه على انه يستصوب اختياري، ثم زيديني علماً بما أنوط به املي، فليس هذا الحديث العذب مما يمج تكراره، وما من بشرى أحب إليَّ والى من أحب، من بشرى انطلاق اللواعج الكمينة فينا يوماً، وشبوبها في الرائعة . وبمَ اجابك عن المنافسة اللطيفة التي يتنافسها لديك دُن سنش ودن لذريق ؟ او لم تُظهري له، بما ينفي كل ريب، ما بينهما من تفاوت يجنح بي الى احدهما ؟

الفيرة : لا... بل وصفتك له وصف الواقفة منهما موقفاً لا يشيد أملًا ولا يهدم أملًا، والناظرة اليهما نظرات لا مجافية ولا مواتية، ترقب امر ابيها في اصطفاء قرين لها . ولقد سرته منك

هذه الرعاية لشأنه سروراً تجلت آياته وشيكاً على فمه ومحياه. وما دمتِ مشوقة الى سماع ما اردده من هذا الحديث فدونك ما قاله لي عاجلاً عنك وعنهما: «هي في حد الواجب؛ وكلاهما كف، لها، كلاهما من عنصر كريم فيه الشجاعة والوفاء، وكلاهما مقتبل الشباب، تتلألأ في عينيه زواهر الفضائل التي تحلى بها اجداده الأمثلون، أخص بالذكر دن لذريق، فما من مَخيلة في وجهه الا وهي اجمل صورة لمروءته؛ تحدّر من اصل كثر فيه عديد احلاس الحرب، حتى لكأنهم يولدون بين اغصان الغار؛ أبوه تفرّد في زمانه، بين أقرانه الصناديد، ببأس لزمه ما لزمته قوته، فضُربت به الامثال؛ خطّت معاركه آياتها في غضون جبهته، فهي تحدثنا الى اليوم عما كان شأنه في عصره؛ ورجائي ان أرى من الولد ما رأيته من والده، فلا حرج على بنيّتي من قبلي ان تمنحه هواها». قال هذا وقد حانت ساعة انصرافه الى المجلس، فقطعتْ ذلك الحديث قبل مضيّه فيه، ولكنني استخلص من هذه الكلمات القلائل ان فكره غير متردد كثيراً بين الخاطبين. ينظر الملك اليوم في اختيار مرشد لابنه، والى أبيك سيسند هذا المقام السامي، ذلك لا ريب فيه. فإن لم يكن له نظير في البأس والاقدام فهو اليوم بلا مناظر، وحقيقٌ به ان يقلّد ذلك المنصب. ولما كان دن لذريق قد أقنع أباه بمفاتحة أبيكِ في هذا الشأن عند انفضاض المجلس،

فاغتبطي بحسن انتهازه للفرصة، وابتهجي بتحقيق آمالك عن كثب

شيمان : بيد انه يغشى نفسي من الريب ما يغشى، فهي تخشى هذا السرور، وتنوء بوقره

قد تطرأ طارئة بنت ساعتها تغيّر وجوه الاقدار

وانني لأوجس خيفة من فشل كبير ينجلي عنه هذا السعد الكبير

الفيرة : سترين كيف تنجلي خَشية الفشل عن برد الأمل

شيمان : هلمي بنا نرقب المصير، وليكن ما يشاء الله

المشهد الثاني

بنت الملك – ليونورة – وصيف

بنت الملك : إذهب يا وصيف إلى شيمان من قِبَلي، ونبهها الى انها اليوم تباطأت عن زيارتي، وأبلغها ان مودتي تأخذ عليها تمهلها

(يتوارى الوصيف)

ليونورة : مولاتي... تجدّ بك الرغبة كل يوم، فتسألين شيمان ما لقيتِها عما أفضت اليه في غرامها

بنت الملك : لا اسألها لغير ما سبب، أنا التي اهدفتها او كادت للسهام التي أدمت مهجتهـا، فهي تحب دن لذريق وانا التي

أهدته اليها، وعلى يدي تمكن ان يستنزلها من معتصمها . فأما وقد أبرمت بينهما اسباب هذا الغرام، فيعنيني ان أرى نهاية ما يكابدان من الجوى

ليونورة : على انك يا مولاتي كلما لاحت بارقة نجاح تبدين اسفاً حتى يعود جزعاً، فهل ذلك الحب الذي يملأ قلبيهما جذلاً يوقد في قلبك جذوة تمسّ الصميم ؟ وهل تلك العناية السمحة بهما تشقيك في حين تسعدهما ؟ اراني قد جاوزت حدي، وافضيت الى الفضول

بنت الملك : يضاعف حزني انني لا ابوح به . أصغي اليّ – نفِدَ صبري – واعلمي اي جهاد جاهدت، واي كفاح ما زلت اكافح حتى لا تخونني عزيمتي . الغرام طاغية لا يبقي على احد، وهذا الفارس المقتبل الشباب، هذا العاشق الذي اهديه الى سواي، أحبه

ليونورة : تحبينه !!

بنت الملك : ضعي يدك على قلبي، وتحسسي كيف يخفق لذكرى مالكه وكيف يعرف سلطانه عليه

ليونورة : اغتفري لي يا مولاتي أن أتخطى واجب الاجلال، واخطِئك في هذا الهوى . أتتمادى اميرة عظيمة في تناسي مقامها حتى تفسح مكاناً في قلبها لفارس من عامّة الفرسان ؟ وماذا

يقول الملك؟ وماذا تقول قشتالة؟ أتذكرين، ام غاب عنك، بنت من أنت؟

بنت الملك : أذكر ذلك، ولن يغيب عني أو اسفك دمي قبل أن اسفّ الى ما دون منزلتي، على انني لو التمست المعاذير لصبوتي لاجبتك بان من أبلغته نفسه العلياء حقيق بأن يقع له من ذوات النفوس الزكية ما لا يقع منهن لأنداده بالمناسب، ولاستعنت بألف مثَل شهير على الترخص في هذه الاستباحة، غير انني لا اريد ان اقتدي بقدوة تمس شرفي، ولن امكّن سورةَ حواس من التغلب على إبائي، بل اقول لنفسي في كل آن انني بنت ملك وان كل رجل ما لم يكن رب تاج غير كفء لي . فلما وجدت ان قلبي قد اوشك ان يفقد منعته، اعطيت بيدي ما لم اكن لاجسر على اخذه بيدي، فجعلتُ شيمان بمكاني منه، وقيدتها بقيوده، وأوقدت نيرانهما لاطفئ نيراني، فلا تعجبي من ان نفسي المعذبة ترقب قرانهما بذاهب الصبر

ومن ثمّ ترين ان راحتي بعد اليوم منوطة بهذا الزواج . يحيا الحب بحياة الامل، ويموت بموت الامل

هو ضرام يأكل نفسه ان لم يجد ما يأكل . لشد ما اعانيه من تبريح المحنة التي انا فيها، فإذا عُقد لشيمان على لذريق يوماً قضي على أملي، وشفي عقلي

على انني في هذه الاثناء اكابد ما لا تدركه الظنون، والى ان يتم ذلك القران سيظل لذريق هواي، اعمل لفقده، واجزع لفقده ومن هنا مبعث شجوني، وان اخفتها شؤوني

فوا حرّ قلباه من الغرام، يصعّد انفاسي الحرّى شوقاً الى من ازدريه، اشعر بقلبي وقد انشقّ شغافه، فشطر بالشجاعة علا، وشطر بالصبابة استعر

هذا الزواج قضاء عليّ فأخشاه واتمناه، وغاية ما آمل منه ليس الّا سروراً منقوصاً

شرفي وحبي يتنازعان لبي

وسواء علي أتمّ ذلك القران أم لم يتم، فان نهاية حياتي احدى النهايتين

ليونورة : بعد هذا يا مولاتي لم يبقَ لي ما اقول سوى انني اجد ما تجدين وآخذ من حزنك بنصيب

كنت لك عاذلة فأصبحت عاذرة . وما دام في هذا المعترك العذب المرير لك جلَد تدرأين به صدمات الهوى، وتبطلين سحره، فهو سيعيد اليك صفاءك، ويجمع شتيت أفكارك، فارجي منه كل خير بمعونة الزمن، وارجي كل خير من الله جلّ عدله عن الإغضاء عنك طويلاً، وأنت تعانين ما تعانين في الذود عن عرضك

بنت الملك : اشهى رجاء الي هو أن أبقى بلا رجاء

الوصيف : امتثالاً لامرك حضرت شيمان

بنت الملك : (الى ليونورة) اذهبي واجلسي اليها في هذا الرواق

ليونورة : أتبغين ان تمضي في هيام فكرك ؟

بنت الملك : لا ، وانما أبغي على الكُرْه مني خلوة يسيرة لتطرية وجهي وسألحق بك

يا رباه . من اية يدٍ استمد دوائي ، أدركني من شقوة تمادت ورفّه عني . اِعد اليَّ السكينة ، وأيّد شرفي . انا أنشُد سعادتي في سعادة غيري . نحن ثلاثة يعنيهم هذا القران في آن ، فعجِّل تحقيقه أو شدّد عزيمتي ، فان ارتباط هذين العاشقين برباط الزواج يحطم قيودي ويمسح آلامي . ابطأت على شيمان فلأمضِ للقائها ، ولأروّح عني بحديثي معها

المشهد الثالث

الكنت – دن دياج

الكنت : لقد آل اليك الحظ الأوفر ، ورفعتك نعمة الملك الى منصب كنت انا الأحقّ به ، فجعلك مرشداً لأمير قشتالة مؤدِّباً

دن دياج : هذا الشرف الذي أكرم به أسرتي يدلّ على أنه عادل، ويقدر ما قدمت من الخدمة حقّ قدره

الكنت : مهما يكن الملوك كباراً فهم ونحن شيء أحد، يجوز ان يخطئوا كما يخطئ سائر الانام، وهذا الاختيار يقوم دليلاً لدى جميع المقربين على ان الملوك لا يحسنون جزاء الخدَم العتيدة

دن دياج : لندع الكلام في اختيار يثير بك الحفيظة، فقد يكون عن عطف، وقد يكون عن جدارة، وعلى الحالتين يجدر بنا، اجلالاً للسلطان المطلق، ألّا نبحث في أمر وقد اراده الملك . أتريدني شرفاً على الشرف الذي اضافه اليّ الملك فتصل بين بيتي وبيتك بصلة مقدسة : ليس لك إلا بنت، وليس لي الّا ولد

فإذا اقترنا سمت صداقتنا الى قربى لا تنفصم . أوِلنا هذا الفضل واتخذ ولدي صهراً لك

الكنت : حقيقٌ بهذا الشاب الجميل أن ينظر الى ما هو اسمى، وخليق بالبهرج الجديد الذي زانك به منصبك ان يشغل قلبه بمطمع، فامضِ في شأن منصبك يا سيدي، وارشد الامير، أرِه كيف يصرف شؤون دولته، ويخضع شعوباً عن يدٍ لأحكام قانونه، ويفعم قلوب الاخيار محبة، وقلوب الشرار رهبة . ثم اضف الى تلك الفضائل مزية قائد الجيوش فبيّن له

كيف يجب ان يصبر على المكاره، وان يتفوّق على الانداد في صناعة القتال، وان يقضي الايام والليالي الطوال على صهوة جواده، وان يستريح مثقّلاً باسلحته، وان يخترق الاسوار، وان يأبى النصر إلا وهو كاسبه

درّبه بقدوتك، وابلغه الى الكمال، شارحاً له دروسك بوقعات يشهدها، وشواهد منك تؤيدها

دن دياج : حسبه أسوةً – وان كره الحاسدون – ان يطالع سيرتي وجريدة احسابي، ويتابع السلسلة الطويلة من جسام فعالي فينجلي له كيف يروّض الشعوب من عصيان، ويهاجم الحصون ويعنّي الفيالق، ويشيد شهرته البعيدة على ملاحم مجيدة

الكنت : ان للقدوة الحية لسلطاناً آخر

لا يحسن الامير استذكار واجبه ان يقرأه في كتاب . وبعد فهل فعلت في ذلك الردح الطويل من دهرك ما لم تضارعه فعالي في يوم من ايامي، لقد كنت شجاعاً واني لكائنه اليوم، هذا الساعد هو أقوى ركن للمملكة

ترتعد غرناطة والأرغون حين انتضي حسامي

ويقوم اسمي مقامَ السور المنيع دون قشتالة . لولاي لانتقلتم عاجلًا من ولاية قوم الى ولاية آخرين، ولأصبح اعداؤكم بين ليلة وضحاها ملوكاً عليكم

كل يوم او بعض يوم يضيف الى مجدي غاراً فوق غار، وفوزاً بعد فوز. ولو وجد الامير بجانبي في الحومات لارتاض بأسه في ظلّ ذراعي، ولتعلم النصر وهو يشهد نصراتي، ولاستكمل وشيكاً خلقه العظيم برؤية...

دن دياج : اعرف انك تحسن القيام بخدمة الملك، وقد نظرتك تكافح وتقود الجنود تحت إمرتي، فلما علت سني، وأسال الشيب صقيعه في اعصابي، احلتك بسالتك النادرة احلالاً كريماً في مكاني؛ وعلى الجملة وتنكباً عن الفضول، انما انت اليوم ما كنت انا بالأمس، غير انك رأيت في سانحة هذا اليوم ان الملك وجد موضعاً للتمييز بيني وبينك

الكنت : قد غصبتَ مني ما كنتُ به أولى

دن دياج : انما آبَ بالغنم من كان به أولى

الكنت : كان الاقدر على هذه المهمة بتوليها اجدر

دن دياج : لامرٍ ما لقيتَ المنع بدلاً من المنح

الكنت : اظفرك بالمنصب ظهراؤك لقدم عهدك بالزلفى

دن دياج : لم يكن لي ظهيراً الا ما سطع من آيات إقدامي

الكنت : لنذكر بالاحرى ان الملك راعى كبر سنك

دن دياج : اذا منح الملك رفعة قاسها الى الكفاية

الكنت : ومن ثَمَّ كنتُ احق منك بتلك الرفعة

دن دياج : من لم يحرزها لم يكن اهلًا لها

الكنت : لم يكن لها اهلًا ... أأنا ؟

دن دياج : أنتَ

الكنت : دونك ايها الهرم الجسور جزاء قحتك (يلطمه على وجهه)

دن دياج : (آخذاً سيفه بيده)

أنجز واجهز عليَّ بعد هذه الاهانة . هي اول وصمة ندي لها جبين في اسرتي

الكنت : ما انت فاعل مع ما يقعد بك من العجز ؟

دن دياج : يا رباه . ان قوّتي المتلاشية لتخونني في هذا الموقف.

الكنت : (مستقطاً بطرف سيفه سيف خصمه)

سيفك لي ... ولكنك قد تفخر وترهى لو حملت بيدي هذا السَلَب المخجل . وداعاً ... أقرِئ الامير – وان كره الحساد – سيرة حياتك لاستكمال تهذيبه، وهذا العقاب الذي عوقبت به عن هُجرك في القول لا يدع ان يزيد تلك السيرة حلية صغيرة

المشهد الرابع

دن دياج

دن دياج : يا للحنَق ... يا لليأس ... يا للشيخوخة القهّارة ألم تمتد بي ايامي إلا لتعلّق بي هذه السُّبة، او لم أشبَّ متمرساً بآفات الحروب ألا لأرى في يوم كل ما علاني من اكاليل الغار ملطخاً بالعار

أساعدي الذي تكبره اسبانيا جميعاً، اساعدي الذي انقذ هذه المملكة من كل كريهة، وثبّت عرش صاحبها كلما تداعى، يخونني اليوم في خصومتي ولا يجديني فتيلًا ؟

يا للذكرى الاليمة، ذكرى مجدي السالف الذي بني في ايام عداد، وتقوّض في يوم واحد

يا منصبي الجديد الذي كبَا به طالع سعدي، فكان مهبطاً باذخاً سقط من عليائه شرفي

احقّ عليّ ان ارى الكنت بعدوانه يطفئ سناك، وان اموت بلا انتقام او اعيش في شنار ؟

ايها الكنت : كن بعد هذا اليوم مرشد اميري

هذا المقام السامي لا ينفسح لرجل ثُلم شرفه

حفزك الحسد والكبرياء فكسوتني سبّة نحّتني عن ذلك المنصب ولم يغنِ عني معها اختيار الملك

فأنت ايها النصلُ الذي كنت اداة مجيدة لمُلاقي اصبحتَ زينةً غير مجدية لجسم قد خمدت عزيمته

ايها الحديد الذي هابه الاعداء قديماً، وفي هذه المذلة وجدتُه حلية للبهرجة لا اداة للدفاع، اذهب وفارق من اليوم احقر من فوق الثرى، وانتقل — لتنتقم لي — الى يد خيرٍ من يدي

المشهد الخامس

دن دياج — دن لذريق

دن دياج : لذريق، الك فؤاد ؟

دن لذريق : لو سألني غير أبي لذاق بأسي وشيكاً

دن دياج : نعمت الغضبة . ونعمت الحفيظة التي تلطف ألمي . لقد عرفتُ في هذه السَّوْرة دمي، وبُعث شبابي في هذه الفورة السريعة

تعال يا ابني . يا دمي . تعال واثأر لوصمتي . تعال وانتقم لي

دن لذريق : مِمَّ ؟

دن دياج : من اهانة شديدة طُعن بهـا شرفنا الطعنة القاتلة، من

لطمة في الوجه بيد وقحٍ ما كنت لأُبقي عليه لولا ان الهرم قد اخذ من عزيمتي الصادقة. وهذا الحسام الذي شلّ به زندي ادفعه اليك لتثأر لي وتعاقب الاثيم. فاذهب واختبر شجاعتك في مبارزته

ان اهانة كهذه لا تُغسل الا بالدم، فمُت او اقتل. واعلم، حذرَ الاغترار، ان الذي أدعوك الى كفاحه رجل يُرهب جانبه، فقد شهدته مجلّلا بالدم والعِثير، يلقي الرعب في قلب جيش بأسره، ورأيت الجحافل تتمزّق بصدماته. ولأزيدك علماً به أقول انه فوق العسكري الباسل، وفوق القائد الكبير. هو...

دن لذريق : رحماك أتمم

دن دياج : والد شيمان

دن لذريق : الـ...

دن دياج : لا تحاور. أعرفُ هواك. ولكن الذي يطيق الحياة في ذلة غير جدير بالحياة. انها لتشقّ المهانة علينا بقدر ما يكون مقترفها حبيباً الينا. فأما وقد عرفتَ الاساءة وبيدك الانتقام منها، فلن أقول لك غير ما قلت. خذ بثأري. خذ بثأرك. وأظهر انك الابن البار الخليق بالانتساب الى ابٍ مثلي. سأمضي وانا انوء بالمصائب التي صبها عليّ القدر، فأبكي لِما حلّ بي منها. وانت فاذهب. توثّب. طِر وانتقم لكلينا

المشهد السادس

دن لذريق

دن لذريق : رُميتُ في صميم الفؤاد بسهم فاجأني فاصمى . انا الطالب المسكين لثأر عادل، والهدف الذي تُبرّح به صروف دهر ظالم، أقف بلا حراك وتستسلم نفسي مستضعفةً لضربة تودي بي

أفي حين اوشكتُ ان ابلغ غرامي — واحرّ قلباه لمرارة خطبي — يكون في هذه الخصومة ابي الموتور، ويكون الواتر ابا شيمان ! لشدّ ما اكابد من المعارك في نفسي حتى شرفي يحاربني دونه غرامي . يجب ان انتقم لأبي، فان افعل أفقد ريحانة روحي . فنازعة تحفز قلبي، وأخرى تصد ذراعي . افضيت الى التخيُّر الاليم بين خيانة هواي او الرضى بالهوان، ومن كلا الجانبين مصابي وراء كل مصاب، وارحمتا لي من تأنق هذا العذاب !

أأدع الاساءة بلا عقاب، ام اقتصّ من المسيء وهو ابو شيمان ؟ الوالد — المعشوقة — الشرف — الغرام، وانا بين الطواعية للأمر الشريف القاسي او الاستبداد المعذب

بادت جميع مسراتي او صُدع شرفي

احد الامرين يردني شقياً، والثاني يُفقدني الحق في البقاء.

فيا ايها الامل الحبيب البغيض الصادر عن نفس ابية للهوان مدلهة بالهوى في آن، إنكَ لأشرف عدو لاتمَ سعادة اطمع فيها . ويا سيفاً يسبب شقائي، أقلِدتك لأثأر بك لشرفي ؟

أقلدتك لأرزأ بك شيمان ؟ اولى لي ان أهرع للقاء منيتي . انا مدين لمحبوبتي كما انا مدين لوالدي، فاذا انتقمت أثرت غضبها وبغضاءها، واذا لم انتقم كسبت ازدراءها

فحالة تنقض ما عاهدت عليه اعزّ آمالي، وحالة تجعلني غير كفء للتي احبها . يتفاقم دائي بما التمس له من الشفاء، وكل شيء يزيد تباريحي، فتوطني يا نفس اذا لم يكن بدٌّ من الموت، على ان نَرِد حوضه من غير اساءة الى شيمان . أأموت ولا استأدي حسابي موتاً يقضي على شرفي شر قضاء، متحملاً ان تصِم اسبانيا ذكراي بأنني لم ارعَ كرامة بيتي !

أأوثر حباً تراه نفسي – وان اضلّها – صائراً الى الضياع ! فلا نُصغِ الى اغراء خادع لا يجدي عليّ سوى مضاعفة آلامي . وهلمّ يا ساعدي ننقذ الشرف اذا لم يكن لنا بدّ من فقد شيمان

اجل . كان عقلي قد اختبل . انا مدين بكل شيء لابي

قبل معشوقتي . لأجندل في الكفاح ، او لأهلك من الأسى ،
سأردّ دمي نقيًا كما تلقيته ، اني لأشكو نفسي من تريثي

بدارِ الى الاخذ بالثأر . واخجلتا من هذا التردد الطويل

لا عليّ . ووالدي هو الذي أهين اليوم . ان الذي اعتدى
عليه هو والد شيمان

الفصل الثاني

المشهد الاول

دن ارياس - الكنت

الكنت : اعترف بيني وبينك ان الحمية استفزتني، وان دمي غلى من كلمة اكبرتُ مرماها. فاما وقد قضي الامر، فالعلة لا دواء لها

دن ارياس : فلينزل قلبك الكبير على ارادة الملك، اذ ان ذلك الحادث قد وقع منه موقعاً احفظه، وسيقضي في شأنك بمطلق سلطانه. وليس لك من عذر مقبول : فإن خطر المُساء اليه، وجسامة الاساءة يستلزمان من الواجبات ومن الطاعات ما يتخطى حدّ المألوف في الترضيات

الكنت : للملك ان يتصرف في حياتي كما يشاء

دن ارياس : اتبعتَ وزرك بوزرٍ آخر من النزق والاندفاع الملك ما زال يودك، فسكن غضبه. قال اني اريد، فهل تأبى الامتثال ؟

الكنت : يا سيدي، أإذا ابقيتُ على كرامتي ومن اجلها انحرفت عن الطاعة انحرافاً يسيراً اتعدّ عليّ هذه المخالفة ذنباً جسيماً ؟

على انه لو بلغ ذنبي ما بلغ، فان خدمي الراهنة كافية للتكفير عنه

دن ارياس : مهما يأتِ التابع من عظائم الفعال فلا فضل له بها على الملك . انك لتحسن ظنك بنفسك غاية الاحسان، على ان خدمة الملك فرض مقضي، فان ظللت على هذا الاعتداد بنفسك افضى بك الى سوء المصير

الكنت : لا اصدّق الخبر حتى يؤكده الخبر

دن ارياس : يجب ان تحذر جانب الملك

الكنت : يوم واحد لا يقضى به على رجل مثلي . فليتسلّح بكل اسلحة اقتداره لتعذيبي . ان اهلِك تهلك الدولة

دن ارياس : يا عجبا . اهذا مبلغ تهيُّبك للسلطان الاعلى

الكنت : سلطان الصولجان الذي لولاي لسقط من يده . ان مصلحته كلّ مصلحته لفي بقائي، فاذا هوى رأسي هوى تاجه عن رأسه

دن ارياس : تلطف بتهدئة روعك، والرجوع الى رأي اصوب في شأنك

الكنت : قد انتصحت بما بدا لي

دن ارياس : فماذا اقول له اذن، ولا بدّ لي من الجواب

الكنت : قُل له انني لا استطيع قبول ما فيه إذلالي

دن ارياس : ولكن تذكر ان الملوك يأبون الّا ان يكونوا مستبدين

الكنت : هـذا امرٌ قد فُرغ منه يا سيدي، فلا محلّ لمزيد القول

دن ارياس : بقي عليَّ الانصراف بعـد اخفاقي في اقناعك، وليس الغار ليردّ عن هامتك فاتّقِ الصاعقة

الكنت : سأتنظَّرها بلا وجل

دن ارياس : ولكنها واقعة لا محالة

الكنت : سنرى اذن دن دياج بالغاً مرامه. (منفرداً) من لا يخشَ الموت لا يخشَ الوعيد. ولي قلب يعلو علوًّا كبيراً عن النقم، وان كان من الاوج مهبطها. لأيسر لي ان اتحمل عِبءَ الحياة لا نعماء فيها، من أن اطيق العيش والشرفُ مُثلم

المشهد الثاني

الكنت – دن لذريق

دن لذريق : سمعَكَ يا كنت. لي اليك كلمتان

الكنت : تكلم

دن لذريق : أزِل رَيْباً من نفسي، أتعرف دن دياج ؟

الكنت : نعم

دن لذريق : لنتكلم همساً – اصغِ إليّ

اتعرف ان هذا الشيخ كان في زمانه مثال الفضيلة والشجاعة والشرف... اتعرف ذلك ؟

الكنت : لعله

دن لذريق : هذه الحرارة التي تسطع في عينيّ هي حرارة دمه. اتعرف ذلك ؟

الكنت : وما يعنيني ؟

دن لذريق : سأنبئك ان كنتَ من الجاهلين – على اربع خطى من هنا

الكنت : كَبُرَتْ دعواك ايها الفتى

دن لذريق : تكلم بلا انفعال . إني فَتًى ما زلت . ولكن البأس في النفوس الكريمة لا يُرتهن بعدد السنين

الكنت : اتقيس نفسك الي ؟ من الذي نفخ فيك هذا التبجُّح ولمّا تمتشق حساماً ؟

دن لذريق : امثالي يبيّنون عن بأسهم بفتكة لا فتكتين ويأتون في التجريب ما لم يأته اولو التدريب

الكنت : أتعرف من انا ؟

دن لذريق : أجل . وسواي من يفرَق لشهرة اسمك . ارى غاراً فوق غار يغشّي رأسك، فيلوح لي ان الاقدار قد كتبت به آية هلاكي، ولكنني سأضرب غير مبالٍ ساعداً ما فتئ النصر حليفه، وسأجد من القوة كفاء ما عندي من الشجاعة

لا يمتنع أمر على الذي ينتقم لابيه

زندك لم يُغلب ولكنه لم يُعصم من يد تغلبه

الكنت : هذه الشجاعة التي تتفجر في كلامك كنت ارى مخايلها كل يوم في عينيك، وأشعُر انك ستغدو فخر قشتالة فيطيب لي ان تصبح ابنتي لك حليلة . اعرف هيامك بها ويسرني ان اشهد ان عوامل الهوى لم تحل بينك وبين الواجب ولم تثنِ عزيمتك النبيلة . ولقد جاءت شمائلك العالية مصداقاً لعالي رأيي فيك، فتبيَّنتُ منها، وامنيتي اختيار صفوة الفوارس لمصاهرتي، انه لم يخطئني التوفيق في ايثارك

على انني احسّ ان بي نزعة من الرحمة لك، فاعجب باقدامك وأشفق على صباك

دع التعرُّض في بدء شأنك لتجربة تأتي على نفسك . وأعفِ بأسي من نزال من ليس لي ندًّا . فما من فخر لي في عقبى ذلك النزال

من غلب ولم يخاطر فاز ولم يمجّد

سيتوهم الناس انني صرعتك ولم أجهد، فيبقى لي، ولا فخر، اسف الايذاء بك

دن لذريق : تُعقِّب على جرأتك بشفقة مزرية

افمن يسلبني شرفي يتجنب ان يسلبني حياتي ؟

الكنت : توارَ من هذا المكان

دن لذريق : هلمَّ بنا من غير حوار

الكنت : أأنت تعِب من الحياة ؟

دن لذريق : أأنت ترهب الموت ؟

الكنت : تعال فانما تقوم بواجب، وليس بكريم العنصر ولد يعيش يوماً بعد شرف ابيه

المشهد الثالث

بنت الملك – شيمان – ليونورة

بنت الملك : سكّني يا شيمان، سكني ألم نفسك، ورديها الى الصبر في هذا المصاب

ستجدين الصفاء بعد هذه الزاعدة الضعيفة

وما شوائب سعدك الا سحائب رقيقة لا تلبث ان تتقشَّع فتجلّدي تحمدي عقباها

شيان : قلبي مُقسّم بين الهموم ولا يشيم بارقة للرجاء . هـذه العاصفة المفاجئة التي هاجت بحراً هادئاً انما تنذر بغرَق لا مفرّ منه

لستُ بمرتابة واني لهالكة في المرفإ . كنت محبة ومحبوبة وكان ابوانا على وفاق . فبينا انا احدّثك بهذا الحديث البهيج اذ تولدت تلك الخصومة، وانتهى اليك خبرها المروع فهدم ما كان مشيداً من آمالي . قبح الطمع، وساء من خلة تجني باستبدادها على اكرم النفوس

فيا ايها الشرف الذي لم يرحم اعزّ اماني، ماذا انت سائمي من دموع وزفرات ؟

بنت الملك : ليس في هذه الخصومة ما يؤذن بما تخافين، فقد شبّت جذوتها في لمحة، وستخمد في لمحة . سيدعو تفشّي انبائها الى حسمها ؛ وحسبك ان الملك قد اراد اصلاح البين ؛ ثم تعلمين انني أرقّ لاشجانك، فما من أمر مستطاع إلا سأفعله لازالتها

شيان : في مثل هذا الامر لا تُجدي المصالحات فتيلاً، والمساءات القاتلة كهذه لا تندمل جراحها

هيهات ان تنجع القوّة او الحكمة في تلك العلة ؛ فان شفيت لم يكن شفاؤها إلا في الظاهر

البغضاء التي تتغلغل في القلوب تغذي نيراناً يخبأها الرماد فما يزيدها الا احتداماً

بنت الملك : إن الرابطة المقدسة التي ستربط لذريق بشيمان ستذهب باحقاد الوالدين المتعاديين، وسنرى عمّا قليل حبكما يستظهر على الضغينة فيهما، ونرى الزفاف الهني، يلاشي تلك الشحناء

شيمان : تلك امنيتي ولكن يقصر دونها رجائي

دن دياج عاتٍ، ووالدي اعرفه . تسيل دموعي وبودّي لو ترقأ . يؤلمني الماضي، واخشى المستقبل

بنت الملك : ماذا تخافين من هرمٍ قد وهن العزم منه ؟

شيمان : لذريق مقدام

بنت الملك : لم يزل في نضارة عوده

شيمان : الشجاعة في الشجعان تبدو لأول بادرة

بنت الملك : وعلى هذا لا ارى محلًّا لما تحذرين، فإن لذريق يهواك هوًى ينأى به عما تكرهين، وكلمتان من فمك تكفيان لاطفاء ثورته

شيمان : فإن لم يطعني فما اشد حزني، وان اطاعني فماذا يقولون

عنه، أيتحمَّل تلك الاهانة من ينميه اصل كأصله ؟ وسواء أأبرم عهده لي ام نقضه فمصيري معه، اما الى الخجل منه او الخجل عنه؛ لافراطه في الامتثال او لإبائه وله العذر

بنت الملك : نفسك يا شيمان عالية، ولا اخال الغرام ينزل بها الى ظنة دنيئة. فاذا اهبتُ بذلك العاشق الواله، واحتبستُه لديَّ حتى تنحسر الغمرة، فحُلتُ بذلك بينه وبين تلبية داعي شجاعته أفَلا يمرّ بقلبك خلجة شك من هذه الناحية ؟

شيمان : آه يا سيدتي، لو فعلت لأفرخ روعي

المشهد الرابع

بنت الملك - شيمان - ليونورة - الوصيف

بنت الملك : يا وصيف، ابحث عن لذريق وادعه إليَّ

الوصيف : الكنت دي جرماز ودن لذريق

شيمان : يا رباه ! ... ارتعد

بنت الملك : تكلم

الوصيف : خرجا معاً من هذا القصر

بنت الملك : أمنفردَين ؟

الوصيف : منفردين وكأنهما يتلاحيان

شيمان : لا ريب في انهما يتبارزان، ولا وقت لاطالة الكلام اغتفري لي يا مولاتي هذا البدار

المشهد الخامس

بنت الملك – ليونورة

بنت الملك : يا ويح لي، ما اشدّ بلبالي ! ابكي لشقائها وعاشقها يملأ قلبي . زايلتني راحتي، وثارت لواعجي

والسبب الذي سيفرق بين لذريق وشيمان ينعش املي ويجدد في آن المي . أرى انفصالهما بمضض وارتماض وفي قرارة مهجتي غبطة وسرور

ليونورة : تلك العِصَمَة السامية، وهي ملاك امرك، أتتغلّب عليها بهذه السرعة صبوة اثيمة ؟

بنت الملك : لا تصِفيها بالاثم بعد ان طغت على نفسي، والقيتُ زمامها الى احكامها القاهرة

أوليها رعايتك من حيث انها تعزّ عليّ . عفتي تقاتلها ولكن

على الرغم مني، ارجو رجاء لا يقوى عليه قلبي المستضعف فيطير باجنحة الخيال الى العاشق الذي فقدته شيمان

ليونورة : فأنت اذن تقذفين بقوة عزيمتك من حالق، وتعطلين عمل عقلك

بنت الملك : آه . ما اقل استجابة الهوى فينا للرشاد حينما يرتوي القلب من سمّه الشهيّ . قد يألف السقيم نزوات سقامه، فيشق عليه التماس البرء من آلامه

ليونورة : أَمَلُكِ يغريك، وَأَلَمُكِ مستعذب، ولكن لذريق ليس بِأَهْلٍ لكِ

بنت الملك : اعلم ذلك فوق ما تعلمين، ولكن اذا كان خفري لم يعصمني منه فتبيّني كيف يسطو الغرام على القلب الذي يملكه

اذا خرج لذريق منتصراً من هذه المبارزة، واذا سقط هذا الغطريف بآية من بأسه جاز لي ان اكترث لشأنه وان احبه بلا تورع؛ فما الذي يمتنع عليه، وقد تغلب على الكنت ؟ يخيل اليّ عندئذٍ انه لو صال ادنى صولاته لدانت له الممالك بأسرها . ويهيئ لي غرامي منذ الساعة انني اراه جالساً على عرش غرناطة يستعبد المغاربة، ويعبدونه خاشعين، وان الاراغون ستتلقاه فاتحاً، وان البرتغال ستوليه قيادها، وان ايامه الغراء ستمد الى ما وراء البحار جاهه وسلطانه، وتسقي بدماء اعدائه

اكاليل غاره . وعلى الجملة فكل ما قالوه عن اشهر الغزاة ارقبه من لذريق بعد فوزه، واجعل معه كلفي به فخراً لي وذخراً

ليونورة : ولكن يا سيدتي تبصري الى اين ترفعين مقامه على أثر مبارزة لعلها لم تحدث

بنت الملك : لذريق مُساء اليه ... والكنت هو المُسيء وقد خرجا معاً ... ابعد هذا جواب على سؤال ؟

ليونورة : ليكن يا مولاتي انهما يقتتلان كما تشائين، ولكن هل يدرك لذريق عملاً ما بَلَّغْتِهِ اليه املاً ؟

بنت الملك : ماذا تبتغين مني ؟ لقد خولط عقلي، وضللت سبيلي فانظري ما يعد لي العشق من التباريح . تعالي الى غرفتي فسرّي عني، ولا تتركيني في هذا البلبال وحدي

المشهد السادس

دن فرنان – دن ارياس – دن سنش

دن فرنان : الكنت اذن على ما وصفت من الخيلاء، وقلة البصر بالعواقب، أيجرؤ على الظَنّ بان جريمته تغتفر ؟

دن ارياس : حدثته من قِبَلك واسهبتُ في البيان، وبذلت معه جهدي يا مولاي، ولم اصل منه الى طائل

دن فرنان : يا عجبا ! رجل من اتباعي تذهب به الجرأة الى نقض ما لي من حق التجلة والى الاستخفاف برضاي، فيهين دن دياج، ويحتقر مليكه، ويأمرني امره بين حاشيتي وبطانتي ! ليكن ما شاء مقداماً جسوراً وقائداً قديراً، سأكسر من غَرْبه، واحطّ من خيلائه؛ ولئن كان اخاً للشجاعة واله الحرب لارينّه ما عقاب معصيتي . كبرت جريمته وحقّ عليه القصاص، غير انني اردت بادئ بدء ان ارفق به؛ فأما وهو قد جاز مدى الحلم، فامضِ اليه ليومك، واقبض عليه مستسلماً او مقاوماً

دن سنش : لعلّ التريّث في امره يردّه عن المعصية، فقد اخذ على حين كان دمه فائراً من أثر الخصومة

مولاي ان قلباً نبيلاً كقلبه يصعب اقتياده في حرارة سورته الاولى . انه ليرى خطأه، ولكن النفس الابية يشق عليها، ولما يسكت عنها الغضب، الاقرار بخطئها

دن فرنان : صه يا دن سنش واعلم ان الشفاعة فيه جريرة كجريرته

دن سنش : سمعاً وطاعةً ولكن سماحاً يا مولاي، وإذناً لي بكلمتين اخريين دفاعاً عنه

دن فرنان : وما يسعك ان تقول ؟

دن سنش : يعزّ على نفس تعودت المساعي الجسام التدني الى الطاعات زعماً منها ان خضوعها لا يؤوّل الا بما فيه هوانها؛ فالهوان وحده هو اللفظة التي عصى من اجلها الكنت، ووجد في اداء مفترضها قسوة ناهيك من قسوة، وما كان اقربه الى الامتثال لو كان اقلّ صلابة في القتال، فأوقع اليه امراً بان يصلح ما اساء في حومةٍ يخوضها، وجلادٍ يعمل فيه ساعده المتمرّس بآفات المعامع، يلبّيكَ يا مولاي الى ما تشاء.

ولو تصدى له من تصدّى ريثما يتبيّن جلية امره – لاجابه هذا (يشير الى سيفه)

دن فرنان : ذهلت عن حرمة الموقف، ولكنني اتجاوز لسنّك، واعذر الحمية في مقتبل الشباب . فان الملك الذي يصرّف حكمته في الامور المُثلى يبقي ابقاء الضنين على دم رعاياه . وما شأني في الحرص على أتباعي والاحتفاظ بهم الا شأن الرأس يعنى بالاعضاء التي تخدمه

فالرأي الذي أدليت ليس هو الرأي في نظري

انت تتكلم كلام جندي، وعليّ ان افعل فعل ملك، ومهما يزعم الآخرون، ومهما يدعِ الكنت فان اطاعته لي لم تكن لتحطّ من عليائه، على ان اساءته قد مستني بإيذائها شرف ذاك الذي آثرته مرشداً لولدي، فهو باستطالته على من اصطفيت

استطال عليّ بالذات، واقترف وزر الاعتداء على السلطان الاعلى

حسبنا كلاماً في هذا المعرض . وقد بقي عليّ ان اقول ان عشراً من سفائن اعدائنا القدماء لوحظت رافعة اشرعتها ومجترئة على الاتجاه نحو مصب النهر

دن ارياس : قد عرفك المغاربة بما عانوه من بلائك فيهم، واراهم لكثرة ما باءوا بالفشل والاندحار لا يقدمون بعد على مناوأة قهّارهم العزيز

دن فرنان : يعزّ عليهم — لا محالة — ان يروا صولجاني باسطاً ظله على ارجاء الاندلس، وهم يرمقون بعين الغيرة هذا البلد الجميل الذي اضاعوه بعد ان طالت ولايتهم عليه، فلهذا السبب الاوحد نقلت عرش قشتالة الى اشبيليا منذ عشر سنين، بحيث يتسنى لي ان اراقبهم عن كثب، وان اتدبر عاجلاً فيما يصدّ هجماتهم ويخلف ظنونهم

دن ارياس : يدرون، وقد اطارت الحرب ارفع هاماتهم، ان شهودك الوقائع يضمن لك الفتوح، فلا بأس عليك منهم

دن فرنان : وليس من الصواب ايضاً ان نسترسل في الاهمال فان فرط الثقة مجلبة للخطر، وما غاب عنك ان مدّ البحر يدنيهم الى هذا المكان بأيسر مجهود، على انه لا يجمل بي ان القي

في القلوب هلعاً من الطوارق ولما تبدُ حقائقها فربما احدث شيوع هذا النذير هلعاً يزعج المدينة في الليلة الآتية، فمر عني بمضاعفة الحرس على الاسوار وفي الميناء، وحسبنا هذا القدر في هذا المساء.

المشهد السابع

دن فرنان – دن سنش – دن النس

دن النس : مولاي، قد مات الكنت، ووتر دن دياج بيد ابنه .

دن فرنان : منذ علمت بالاهانة شعرت بهذا الانتقام، وعمدت من ساعتي الى تدارك الفاجعة

دن النس : بالباب شيمان وُفدت لترفع بثّها الى قدميك مستعبرة العينين تلتمس الانصاف

دن فرنان : اني لارثي لبلواها، ولكن اباها لقي الجزاء الحقيق بجرأته، على انه خليق بها ان تحزن على الكنت، وبي انا ان آسف لفقدي قائداً عظيماً خدم مملكتي خدمة طويلة الامد، وسفك في سبيلي دمه في الف معترك، فمع ما حركت نفسي من العوامل سورة كبريائه اجهر ان فقده يضعضعني، وان موته يشجيني

المشهد الثامن

دن فرنان – دن دياج – شيمان

شيمان : مولاي، مولاي عدلًا

دن دياج : آه يا مولاي اصغِ الينا

شيمان : أترامى على قدميك

دن دياج : أُقبِّلُ ركبتيك

شيمان : التمس النصفة

دن دياج : استمع لدفاعي

شيمان : عاقب ذلك الشاب الجريء على قحته، فقد قوّض ركن صولجانك . قتل ابي

دن دياج : أخذ بثأر ابيه

شيمان : الملك موكل بالعدل في دماء رعيته

دن دياج : لا عقاب على الانتقام المشروع

دن فرنان : إنهضا كلاكما لقد فسحت لكل منكما في ابداء ما عنده . شيمان، ارثي لبلواك، واحسّ ان حزني عديل حزنك نتكلم فيما بعد، لا تقطع عليها شكواها

شيان : مولاي، ابي قُتل، وشهدت عيناي دمه المسفوح يتدفق دُفعاً كباراً من جنبه الكريم، ذلك الدم الذي بذل مراراً لصيانة اسوارك، ذلك الدم الذي اعلى كلمتك في المعامع

ذلك الدم الذي خرج والدخان يسطع منه غضباً لانسفاكه في غير سبيلك

ذلك الدم الذي لم تستطع الحروب ان تريقه في غمراتها قد جلّل به لذريق بلاط قصرك

هرعت خائرة القوة شاحبة اللون، فوجدته فارق الحياة . اعذر توجعي، يا مولاي . عدمت الصوت لاستكمال هذه القصة المروعة، وكفى بدموعي وزفراتي إفصاحاً عن سائر ما جرى

دن فرنان : ثِقي قلبك يا بُنيّتي واعلمي اليوم ان الملك يريد ان يكون لك اباً مكان ابيك

شيان : مولاي، بالغت في تشريف قدري بعد محنتي . لقد تقدم قولي انني وجدته بلا حراك ؛ كان جنبه فاغراً و كأنني بدمه يستصرخني ويخطّ لي على التراب ما يقتضيني من الواجب

او كأنّ تلك القوة التي رُدّتْ الى البوار تخاطبني بجرحها لتستحثني على اللحاق بالغارم، وتستعير من فم هذا الجرح

الاليم صوتي لابـلاغ ظلامتها الى اعدل الملوك . مولاي، لا تُجِزْ ان يقع في عهدك وبمشهد منك مثل هذا الجرم، وان يستباح اولو البأس المبرزون لمجترئ عليهم يأمن العقاب، وان ينبري شاب جسور فيهدم علياءهم، ويشرب دماءهم، ويلطخ ذكراهم، فإذا لم تثأر لذلك الصنديد الذي رزئته طُفِئت في النفوس حماسة الذين يخدمونك

دع كل هذا . قتل ابي، واطالب بدمه لا للترفيه عني باكثر من الرعاية لجانبك . خسارة لك ان تحرم رجلًا هذا شأنه، فأثأرْ لموته بموت الجاني عليه، وكافئ الدم بالدم، وضحِّ به لتاجك لا لي، بل قَدِّمْهُ لعلياتك بل لذاتك . ضحِّ يا مولاي لمنفعة الدولة بكل من يستطيل مثل هذه الاستطالة

دن فرنان : دن دياج، اجب

دن دياج : أحرِ بالانسان الذي يعدم الحياة بانعدام عزيمته ان يغبطه الناس فقد يهيئ للكرام طول آجالهم بعد شوطهم المجيد ضعةً وهواناً، انا الذي ضمنت له فعاله الجسام ما شاءت من الفخار . انا الذي عقب على النصر بالنصر كل آن وآن . اراني اليوم لا ذنب لي الّا امتداد البقـاء اتلقى الاهانة وألبث موسوماً بميسمها، فما لم تنله مني ملحمة ولا حصار ولا كمين، وما لم تستطعه أراغون وغرناطة ولا اعداؤك جميعاً، — ولا حسادي جميعاً — فعلّه الكنت في قصرك وعلى مدى بصرك

غيرة من ايثارك اياي، واعتداداً برجحان قوته على القوة التي سلبها مني تقادم سنّي

فهذه اللّمة التي ابيضّت تحت خوذة الكفاح، وهذا الدم الذي بُذل غير مرة في سبيلك يا مولاي، وهذا الساعد الذي كان يلقي الذعر في جيش اعدائك، كل ذلك كاد ينزل معي الى القبر موصوماً بالعار، لو لم الد ولداً جديراً بالانتساب الي، خليقاً باعلاء ذكر بلاده، حقيقاً بالانتماء الى ملكه، اعارني ذراعه، وصرع الكنت، فنضح عن شرفي، وغسل اوضار عاري . فاذا كان ابداء الشجاعة، وشفاء غلة الحقد، والانتقام من اللطمة في الوجه، جُناحاً يعاقب عليه، فعليّ وحدي تقع التبعة

يخطئ الزند فيعاقب الرأس، وسواءٌ أعُدّ ذنباً ما نتحاور فيه ام لا ، انا يا مولاي الرأس، وليس ابني الا الذراع. تشكو شيمان من انه قتل اباها، وتالله ما كان ليودي به لو قدرت على الايداء به . فليضحّ اذن بهذا الرأس الذي يلوي به الهرم، وليبقَ الساعد الذي يضطلع بخدمتك. أرضِ شيمان بسفك دمي، فقد طِبْتُ نفساً للاقتصاص مني ورضيتُ بالحكم عليّ مهما بولِغَ في شدته، اذ انّني بموتي نقيّ الشرف، اموت بلا اسف

دن فرنان : المسألة ذات بال تدعو الى إعمال الروية ومشاورة المجلس

دن سنش ، اصحب شيمان الى بيتها

دن دياج يلزم قصري سجيناً فيه، رهيناً بعهده . ليوت بابنه، سأنصفكِ يا شيمان

شيمان : من العدلِ ايها الملك العظيم ان يُقتل القاتل

دن فرنان : روّحي عنك يا ابنتي ، وسكني احزانك

شيمان : الامر بالترويح عني يزيد اشجاني

الفصل الثالث

المشهد الاول

دن لذريق – الغيرة

الغيرة : لذريق، ماذا صنعت ؟ الى اين تأتي يا منكود الطالع ؟

دن لذريق : جئت لاتابع سيري في طريق شقائي

الغيرة : أنى لك هذه الجرأة وهذه الخيلاء الجديدة، وكيف تظهر في هذه الامكنة التي ملأتها حداداً، أجئت الى هنا تتحدّى طيف الكنت ؟ ألست قاتله ؟

دن لذريق : حياته كانت عاراً عليّ، وشرفي سامَ يدي هذا البطش

الغيرة : ولكن اتلجأ الى بيت صريعك ؟

وهل جرى ان قاتلاً اتخذ بيت قتيله موئلاً ؟

دن لذريق : انما اتيته لأستسلم الى وليّ الدم فيه، فلا تنظري اليّ بهذه الدهشة . اطلب الموت بعد ان اعطيتُه . وغريمي هو غرامي، وقاضيّ هو شيمان

حُقّ لي ان اموت حين أثرتُ حفيظتها، فوافيت ولا مطمع لي إلّا سماع الحكم عليّ من فمها، وتناوُل الضربة القاضية من يدها

الغيرة : أولى لك ان تتوارى عن عينها، وتفرّ من غضبها، وتتقي سورة حزنها في بدء شبوبها . اذهب ولا تتعرّض للفورة الاولى، وللنزوات التي تدفعها اليها عوامل حقدها

دن لذريق : لا . لا وهيهات ان يبلغ حنقها، والعذاب الذي ينالني منها، ما هو حقيق بأن يبلغه، فاني لو قدرت على مضاعفة غضبها لتعجيل اجلي لاجتنبت منّة ميتة ستُغنيني

الغيرة : شيمان في القصر غارقة في البكاء، ولن تعود منه الا مصحوبة بمن يُخشى بأسه

فاهرب يا لذريق اني اسألك مستعطفة، وانقذني من هذه الحيرة

ماذا يقول الذين قد يرونك الآن في هذا المكان، اتريد ان يتهمها واشٍ - وفي ذلك نهاية بؤسها - بانها فسحت لقاتل ابيها ان يتحرم بحماها

أزف معادها ... ها هي آتية ... أراها

لأيسر الخطب على شرفها - يا لذريق - ان تختبئ

المشهد الثاني

دن سنش - شيمان - الغيرة

دن سنش : أجل يا سيدتي يجب ان تسفكَ دماءٌ عزيزة شفاء لغضبك المشروع، وإرقاءً لدموعك

ولست محاولاً بالاسهاب في الكلام تلطيف ما بك او تعزية قلبك، ولكن اذا تسنى لي ان اضطلع بخدمتك فاستخدمي سيفي للاقتصاص من المجرم، واجعلي غرامي قاضياً لغُرمك، فبأمر منك يشتدّ ساعدي، ويأتي العجب العجاب

شيان : وا حربا!

دن سنش : ابتهل اليك ان تتقبلي مني ما اعرض من خدمتي

شيان : اخشى تكدير الملك وقد وعدني بانصافي

دن سنش : تعرفين ان القضاء يسير سيراً بطيئاً، فيغلبُ افلات الجناة منه، لكثرة مطاولته، وذهاب الدموع هدراً من جراء ريبه ومهله . فأذني لفارس ان ينتقم لك بسلاحه، فيختصر طريق الثأر، ويعجل القصاص

شيان : هذا آخر علاج، فإذا تحتم وظللتَ على هذا العزم وهذه الرقة لمصابي كان لك عندئذٍ ان تأخذ بثأري

دن سنش : هذا اشهى ما تصبو اليه نفسي، فأما وقد ساغ لي ان ارجوه فإنني انصرف راضياً

المشهد الثالث

شيان – الغيرة

شيان : يسرني بعد نفاد صبري ان اخلو، وان اكشف لك بطلاقة ضميري ما في نفسي من افاعيل الآلام . ففي وسعي ان اصعد زفراتي، وان اظهرك على مكمن شجوني

ابي مات يا الفيرة، واول سيف تقلده لذريق هو الذي صرم به حبل ايامه

ابكي ابكي يا عيوني، وسيلي دموعاً

شطر من حياتي قذفَ الشطرَ الآخر الى القبر . واكرهني بعد تلك الضربة القاضية على طلب الثأر للشطر المفقود من الشطر الموجود

الفيرة : استريحي يا سيدتي

شيان : آه توصيني بالراحة وما ابعدها عما يقتضيني رزئي الفادح. من اين التمس تسكين ألمي في هذا المصاب الجلل، وانا لا استطيع ان ابغض اليد التي سبَّبته وماذا ارجو سوى العذاب السرمد من تعقبي الاثم وانا احب الاثيم

الفيرة : ايتمك من ابيك، وما زلت تهوينه !

شيان : قليلٌ قولك انني اهواه يا الفيرة، انا اعبده، وهيامي به يعارض حقدي، هو العدو الذي اجد فيه الحبيب . واحس على ما بي من شديد الغضب انه في قلبي يقاتل ابي، يهاجمه، يُحرجه، يتاركه، يذود عن نفسه : تارةً قوياً وطوراً ضعيفاً، وآناً منتصراً

عراك قاسٍ بين الغضب والصبابة يفطِّر فؤادي ولا يشطر نفسي، للهوى ما له عليَّ من سلطان، ولكنني لن اتردَّد في متابعة واجبي، سأمضي بلا توقف في ما يدعوني اليه شرفي

لذريق حبيبٌ إليّ، وهيامي به يشجيني، ينحاز قلبي اليه غير انني مرغمة على عدوانه، واعرف من انا، وان ابي قد قُتل

الفيرة : اتنوين تعقّبه ؟

شيان : آه، يا له من خاطر أليم، ويا له من تعقب امعن فيه على الكره مني . أطلب رأسه واخشى ان أُعطاهُ . سأموت على أثره وأريد ان اقتصّ منه

الفيرة : دعي، دعي يا سيدتي هذا المطلب الفاجع، ولا تسومي نفسك شرْعاً تناهى في جفوته

شيان : كيف تقولين ؟ ايقضي أبي وكأنه قد قتل بين ذراعي فيستصرخني دمه للانتقام ولا استمع لصراخه ؟

ايظن قلبي وقد أسرتْه عوامل صبوته ان حقّ ابي عليه يوفى بدموعٍ لا تجدي ؟ وهل اتحمّل غراماً خادعاً يعوقني جُبْناً عن بثّ ما بي ويخنق شرفي ؟

الفيرة : صدّقيني يا سيدتي انك ابليتِ العُذر، فلا تشتدي كل هذه الشدة على من تحبين

كلاكما عاشق ومعشوق . ولقد فعلت ما في وسعك، رفعت امرك الى الملك فلا تستعجلي حكمه، ولا تتمادَيْ في ما يزعجك من هذا التناقض الغريب

شيان : لا يسلم شرفي ألّا بان أثأر له ؛ ومعاذير الهوى حجة للمبتلين به، على انها مخجلة للقلوب النبيلة

الفيرة : ولكنك تحبين لذريق وهو لم يكن ليغضبك

شيمان : اعرف ذلك

الفيرة : وبعد فماذا ترين ان تفعلي ؟

شيمان : للاحتفاظ بشرفي وللنجاة من همي، سأنتصف منه فأفقده، وأموت على أثره

المشهد الرابع

دن لذريق – شيمان – الفيرة

دن لذريق : إيهاً، لا تجشمي نفسك عناء تعقبه، واضمني لها شرف الايداء به

شيمان : الفيرة !! اين نحن ؟ وماذا أرى ؟

لذريق في بيتي... لذريق أمامي ؟

دن لذريق : لا تبقي على دمي، وتذوقي لذة قتلي، والانتقام مني غير مُدافعة

شيمان : ويحي!

دن لذريق : اصغي اليّ

شيمان : أحتَضَر

دن لذريق : امنحيني هنيهة

شيمان : اذهب ودعني اقضي نحبي

دن لذريق : أربع كلمات ولا أزيد، ثم لا تجيبيني الّا بهذا السيف

شيمان : وا حربا، أبهذا السيف، وما زال بليلًا بدم ابي

دن لذريق : يا شيماني...

شيمان : وارِ هـذا الشيء البغيض فهو يزيد جرمك وابقاءك قبحاً في عيني

دن لذريق : بل انظريه واستفزي بـه بغضاءك؛ لتضاعفي غضبك وتعجلي في الاخذ مني بطائلتك

شيمان : انه مضرج بدمي

دن لذريق : غيّبيه في مهجتي، وأزيلي منه صِبْغ دمك

شيمان : آه من جفوة طبعك، في يوم واحد تقتل الاب بالسيف والبنت بمرآك، وارِ هذا الشيء، لا أطيق رؤيته، تريد أن أرْعيك سمعي، وانت ترهق روحي

دن لذريق : افعلُ ما تأمرين به عـلى ان أختم بيدك حياتي الشقية وحاشا كلفي بكِ ان يداخله الجبن، فأندم على فعل كان حميداً. فتكة أعجلها الحمق عن تقدير العواقب، وصَمَتْ ابي وكستني عاراً؛ وتعلمين ما أثر اللطمة في النفس الكريمة؛ لحقني ما لحقني

من الوصمة فبحثت عن مقترفها، فرأيته فانتقمت لشرفي وشرف والدي ولو وجب ان اعاود لعاودت، على ان غرامي نازعني طويلاً فقاومت والدي ونفسي في سبيل حبك، وحسبك منه، على جسامة تلك المساءة، أنه تركني حيناً أشاور نفسي في الاقدام او الاحجام، فلما وازنت بين اغضابك او تحمل الشنار ايقنت ان زندي سبق العذلَ بزماعه، وشكوت من حدة في طبعي جازت مداها، ولا شكَّ ان جمالك كاد يرجح بكفته في الميزان لو لم ادفع سطواته بما مرَّ في خاطري وهو ان رجلاً عَطِل من شرفه لا يكون لك اهلاً، وان التي احببتني حراً كريماً ستبغضني جباناً لئيماً مع ما لي في قلبها من المكانة الرفيعة وانني لو أطعت هواك وصبرت على الهوان لأصبحت غير خليق بعطفك، وأخلفتِ بي حسن ظنكِ

اعود فأقول لك ــ وعلى ما بي من حزن وجزع ــ سأعود وأقول لك الى آخر نسماتي ــ انني أسأت اليك، وأكرهتُ على هذه الإساءة ؛ لأمحو عاري واكون اهلاً لك فأما وقد وفيت دين الشرف، وقضيت حق ابي، فإنني لماثل لديك متوخياً مرضاتك، فقد سعيت اليك لأقدم لك دمي مؤدياً ما يجب كما اديت ما وجب

ولعلمي ان أباً مات يستفزك للاقتصاص من ذنبي أبيت ان أخبأ غريمك، فأقدمي وضحي لدمه بدم فتى يفاخر بأنه هو الذي أراقه.

شيان : آه... اني وان كنتُ عدوتك لا استطيع ملامك، لفرارك من العار، وعلى تنوع الألوان التي أذوقها من العذاب لا اشكو منك بل ابكي لمصائبي

اعرفُ ما كان الشرف، وقد مسَّته تلك الشنعة، يدفع اليه قلباً تحتدم فيه الحماسة

فأنت لم تفعل إلا ما يفعله الفتى الأبر، بيد أنك بحرصك على واجبك علمتني الحرص على واجبي

اقدامك المشؤوم، والنصر الذي احرزته ادّباني، فقد ثأرت لأبيك وصنت شرفك، ومثل ما عناك من امرك يعنيني من أمري، اذ ان لي شرفاً أصونه، وأباً انتقم له، يا ويلتي، ان حبي لك هو الذي يؤيسني في هذه المعضلة، ولو ان مصاباً آخرَ أيمني لوجدتْ نفسي في سرورها بلقائك سُلوانها الاوحد، وعزاءها الاوفى ولَهان عليَّ العسير من ألمي حين تمتد اليّ يد عزيزة وتكفكف عبراتي. ولكن كُتب عليَّ ان افقدَك بعد ان فقدته، فكفاحي لغرامي دين عليَّ لشرفي، وذلك الواجب الذي يُودي بي أداؤه يضطرني الى العمل بنفسي على ثبورك

فلا ترتقب من شغفي بك ان يعوقني عن اخذك بجريرتك ومهما يشفع لك حبي فلا مناص لعزة نفسي ان تكافئ عزة نفسك

لقد أبديت بإساءتك إليَّ أنك جدير بي فحُتِم عليَّ وانا اطلب قتلك ان اكون خليقة بك

دن لذريق : لا تؤجلي اذن ما يدعوك اليه الشرف، فهو يطلب رأسي وانا اهبك اياه، فاجعليه قرباناً لما يتخالجك من المأرب السامي . يعذب لدي وردُ الردى، ويسهل عليّ حكمه، اما انتظارك بعد إجرامي الى ان يقضي القضاء فتقصير في حق مجدك واطالة لتعذيبي، وغاية سعادتي ان اموت بضربة من يدك الجميلة

شيمان : اني لخصمك ولست بجلّادك، تُقدّم لي رأسك وما عليّ أن آخذه، شأني ان اصوّب اليه طعناتي، وشأنك الذود عنه وانما أطلبه من غيرك لا منك، عليّ مناجزتك، وما عليّ عقابك

دن لذريق : دعي شفاعة الحب فيّ لديك، وارجعي الى كرم عنصرك فأجزيني من نفسي، يأبى ذلك الكرم يا شيماني ان تستعيري ساعد غيرك للانتقام مني، يدي هي التي اخذت بثأر أبي، وما أحرى يدك دون سواها ان تأخذ بثأر أبيك

شيمان : لك الله من قاسٍ، علامَ هذا الاصرار، قد انتقمت بلا معين، وتعينني على الاقتصاص منك، لأقتدين بقدوتك ولاصبرنّ حتى اقاسمك فخر الانتقام، لا ابي ولا ساعدي يقبلان بفضل حبك او يأسك

دن لذريق : وا حرّ قلباه من خلاف رأينا في امر الشرف، الا استطيع ــ جاهداً ما جاهدت ــ ان أظفر منك بهذه المنة؛ بحق أبيك القتيل، بحق ما بيننا من الوداد عاقبيني تشفياً،

او عاقبيني رحمة واشفاقاً، فإن عاشقك المنكود الطالع ليؤثر الموت بيدك على البقاء وتبغضيه

شيان : رُح فلست لك بكارهة

دن لذريق : كان حقًّا عليك ان تمقتيني

شيان : ما بيدي

دن لذريق : الا تبالين الملام وسوء المقالة، اذ يعلم الناس بأن ذنبي اليك لم يذهب بحبك لي، ماذا تشيع عنك يومئذٍ ألسنة الوشاة الحساد؛ اكرهيهم على السكوت، وتخلي عن الحوار، فانقذي سمعتك بقتلي

شيان : ما ازدادُ الا حُسنَ احدوثة بتركك حيًّا، وبودي ان يرتفع صوت النميمة من اعماق ظلماته، فهو اذن سيرفع الى السماء كرامتي، ويستلين — حتى الوشاة — لجزعي اذ يعلمون انني اعبدك واستعدي عليك، فَوَلِّ ووارِ عن عيني السخينة من الحزن ذلك الانسان الذي سأفقده على انني احبه، اخرج في سرٍّ من الناس تحت الليل، وحذار ان يروك فيتجنَّوا على شرفي وليس للسعاية نهزة تنتهزها الا ترخُّصي في لقائك هنا فلا تجعل لها سبيلًا الى الريب

دن لذريق : تبًّا لي !

شيان : اذهب

دن لذريق : علامَ عزمتِ؟

شيمان : اني وان كانت شُعل الغرام تشغلني عن حنَقي، سأبذل ما في وسعي للأخذ بثأر والدي، ومع ما يقتضيني اداء هذا الواجب من الصلابة، فان امنيتي الوحيدة هي ألا أقدر على شيء

دن لذريق : يا لأعجوبة الغرام !

شيمان : يا لنهاية البؤس!

دن لذريق : ماذا سامنا ابوانا من العبرات والحسرات

شيمان : لذريق، من كان يظن ما أفضينا اليه ؟

دن لذريق : ومن كان يتنبأ ؟

شيمان : بأن سعادتنا وهي على وشك ابرامها تنقضي

دن لذريق : وان املنا على مقربة من الميناء، وفي تمام الصفاء يسطو عليه عاصف مفاجئ فيحطمه

شيمان : آه من الآلام المهلكة!

دن لذريق : آه من عبث الأسف!

شيمان : اليك عني . اليك عني . لن أصغي اليك

دن لذريق : استودعك الله . سأمضي لاعاني حياة خيرٌ منها الحِمامُ ريثما يسلبنيها القضاء بخصومتك

شيمان : اذا تحقق مرامي فعهدي اليك انني لا أرضى بالبقاء بعدك هنيهة . وداعاً . اخرج واحرص ان يراك احد

الفيرة : سيدتي . مهما يُحق بنا من الكوارث ...

شيان : لا ترعجيني بعد، دعيني اتنفس الصعداء، انما تعلتي السكون، وحاجتي الليل ابكي تحت أستاره

المشهد الخامس

دن دياج

دن دياج : لن يتسنى لنا أن نذوق غبطة غير مشوبة، ولا تتحقق امانينا الا وتخالطها الكآبة، فكلما واتتنا حوادث الدهر تخللها من الهموم ما يكدر علينا صفو مسراتنا

قد تمت لي الهناءة وريب الزمان ينغصها عليّ . اسبح في بحر من الابتهاج وارتعد من الخوف . رأيت العدوّ الذي أهانني قتيلاً، وليس بوسعي ان ارى اليد التي ثأرت لي منه، ابحث عن ولدي مُعملاً فكري في طلبه ولا اجده، ومع كوني متداعياً على حقوي انشده في كل مظنة بالمدينة، اذيب ما أبقتْ لي الايامُ من الهمة الواهية في ابتغاء نظرة انظرها الى هذا الظافر ؛ في كل ساعة وفي كل مكان تحت هذا الظلام الدامس أتخيل انني أعانقه فما أعانق الا طيفاً، فيخيّب املي هذا التصوّر الخادع، وتُخلَق فيّ أوهامٌ تضاعف وَجلي، ولا أقف على أثر لفراره، أخاف عليه من اصدقاء الكنت واتباعه

فهم غير قليل وكثرتهم تبلبل ذهني . لذريق إما قتيل واما سجين يا لله... مخدوع بصري بما يلوح لي، او هو سليلي ووحيدي وأملي اراه مقبلاً . لا ريب انه هوَهْ

استجيبت أدعيتي وزالت مخاوفي وهدأت اشجاني

المشهد السادس

دن دياج – دن لذريق

دن دياج : لذريق . حمداً لله، ما كان أظمأني الى رؤيتك

دن لذريق : وا اسفاه!

دن دياج : لا تمزج حزناً بسروري، وامهلني حتى ينطلق لساني بالثناء عليك، فقد وقفتَ من البسالة موقفاً لا تنكره عليك بسالتي، وحذوتَ حذوي بجرأتك الباهرة. لقد بُعِثَ بك ابطال يُباهى بهم مَحتدي، منهم تحدرتَ ومني تلقيت الحياة، ضربة منك وهي الاولى عادلت جميع ضرباتي ونمّت عن صدق حميّتك، واتقاد عزيمتك، فبلّغتكَ في اول بلاء غايةَ شهرتي، يا ركن شيخوختي ويا ذروة سعدي، المسْ هذه اللمة البيضاء التي أعدتَ اليها كرامتها . تعال قَبِّلْ هذا العارض واعرف المكان الذي نضحت عنه فمحوت أثر الوصمة منه

دن لذريق : ذلك الشرف اليك مرجعه، انني لَسليلُكَ وربيب نعمتك وما كنت لأفعل أقل مما فعلت، فأنا مغتبط بما ارضاك عني، ويزيد اغتباطي ان ضربتي الاولى قد أعجبت من احسن اليّ بالحياة . ولكن أجزْ لي بين مسراتك – ولا تأخذك الغيرة – ان أجسر وأنفّس من كربتي، وأذن ليأسي ان ينطلق من مكمنه على ما جهدت في كلامك من تهوينه عليّ ؛ ما بي من ندمٍ على ما قدّمتُ من خدمتك، ولكن أعِدْ اليّ النعيم الذي سَلَبْتَهُ مني هذه الفتكة ؛ تسلَّحَ ساعدي لثأرك ولم يَعُقْه غرامي، فضرب الضربة وقد آبَ منها بفخار، ولكنه اودى بنفسي، فلا تردني حديثاً . قد خسرتُ من اجلك كل شيء، وكل ما كنتُ به مديناً لكَ قد رددتُه عليكَ

دن دياج : ارفع الى غاية اسمى، آية ظفرك؛ اعطيتُك الحياة واعدتَ اليّ الشرف، فبقدر ما يفضل شرفي الحياة عندي رجح فضلك عليّ اليوم فضلي عليك بالامس، فأحرِ بك ان تستأصل هذه النزعات الضعيفة من قلبك النبيل، ليس لنا الّا شرف واحد . اما المعشوقات فما اكثرهنّ ؛ انما الحب متاع ولكن الشرف واجب مقضي

دن لذريق : ويحي . ما تقول ؟

دن دياج : اقول ما ترغب في معرفته

دن لذريق : أما كفاني ان انتقامي لشرفي جاء انتقاماً مني حتى تسومني

تبديلًا في هواي، الخيانة في الحب من شيمة المحارب الرعديد والعاشق الغادر، فلا تلحق بوفائي ظنَّة تَمسُّه، واعتدِدْني كريم النفس، ولا تسُمْني النكْث بالعهد. لَعلاقتي امكنُ من ان تنفصم بمثل ما تصف، ولو فاتني فيها الامل، لكن بذمتي مدعاة الى الحفاظ، فأمّا وانا من هواي بحيث لا املك شيان ولا اطيق عنها صبراً، فقد اصبح الموت ــ وهو مبتغاي ــ اخفّ آلامي

دن دياج : لم يَحن الوقت لتلتمس الحمام، فإن مليكك ووطنك في حاجة الى ذراعك. الاسطول الذي ذاع نبأه قد دخل الميناء متوهماً انه يفاجئ المدينة وينهب البلاد

سيهبط المغاربة ويهاجمون اسوارنا بلا جلبة مستعينين بمد البحر ومَدَد الظلام. القصر في اضطراب والشعب في هلع، لا يُسمَع الا صخب، ولا يرى الا دموع، وفي هذه الفوضى العامة أتاح لي التوفيق ان وجدت في بيتي خمسمائة من اصحابي، قدموا جميعاً حين علموا بما حلّ بي، يَحدوهم الولاء، ليعرضوا عليّ الاخذ بثأري، على انك سبقتهم ولكن سواعدهم الشديدة تؤثر الاصطباغ بدماء البربر، فامضِ وسر على رأسهم الى حيث الشرف يهيب بك، ان عصابتهم الكريمة لتأبى سواك زعيماً. اذهب وذُد صدمة أولئك الاعداء القدماء، فان اردت الموت فالقه هناك كريماً، انتهز هذه الفرصة وقد سنحت لك، واقرض مليكك سلامته بتهلكتك بل عُد من ذلك العراك

وعلى جبينك الغار، ولا يُقصَرْ مجدك على الانتقام من اساءة، بل توَخَّ له غاية أبعد، وأكره بشجاعتك ذلك الملك على الغفران وشيمان على السكوت؛ واذا كنت محبًّا لها، فاعلم أنَّ عَوْدَك مستظهراً هو الذريعة المثلى لتملّكِ قلبها . على ان الوقت أعزّ من ان يضاع في الكلام . دعنا من الإطالة وطرْ الى المعترك . تعالَ اتبعني . سر الى القتال وأرِ المليك ان ما فقده بالكنت يجده فيك

الفصل الرابع

المشهد الاول

شيان – الفيرة

شيان : أليست اشاعة مكذوبة ؟ أأنت على يقين يا الفيرة ؟

الفيرة : لا تكادين تصدّقين ما بلغه من اعجاب الناس، فهم بصوت واحد يرفعون الى السماء شهرة هذا البطل الفتى وفخر مواقفه . لم يظهر المغاربة امامه إلّا ليبوءوا بالفشل المخجل، سرعان ما وفدوا وسرعان ما انهزموا . دام القتال ثلاث ساعات، فتركوا لابطالنا الكلمة العليا، وخلفوا ملكين اسيرين، وكان اقدام ذلك الزعيم لا يدع عقبة الا ذلّلها

شيان : ويد لذريق هي التي أتت تلك الآيات ؟

الفيرة : كان ذانك الملكان ثمناً لبلائه الحسن، يده قهرتهما ويده أسرتهما

شيان : من اين سمعتِ هذه الأنباء المدهشة ؟

الفيرة : من الشعب الذي يتغنّى بشجاعته في كل مكان، ويصفه بأنه موطّد عزّه ومجدّد فخره، ويدعوه بحارسه الامين ومنقذه

شيان : وماذا يرى الملك في هذا الاقدام الرائع ؟

الفيزة : لم يجسر لذريق ان يمثل في حضرته، ولكن دن دياج سيقدم له الملكين الاسيرين، وسيلتمس من سماحته و كرمه ان يتفضّل ويأذن لحامي حماه بلقائه

شيان : ولكن ألَم يجرح في الكفاح ؟

الفيزة : لم اعلم بشيء من هذا . أراك ممتَقَعة الوجه . عودي الى رشدك

شيان : ولأُعد ايضاً الى حنقي الذي هدأت فورتهُ، فهل عليَّ للاعتناء به ان انسى واجبي ؟

يمدحونه ويحمدونه . قلبي عن ذلك راضٍ، وشرفي صامت، وهزتي للواجب وانية

فصهٍ يا غرامي . دع غضبي يفعل أفاعيله، لئن كان قد أسر ملكين، لقد قتل ابي . وهذه الثيابُ السوداء التي اقرأ فيها آية يُتمي هي الهدايا الاولى التي اهدتها إليَّ عزيمته الماضية . ينعت الناعتون في الخارج قلبه النبيل

ولكن كل شيء حيالي يذكرني جريمته

ألا أيها الاشياء التي تهيج فيَّ الضغينة من مقانع وحرير وثياب هي زينة الحداد . وأنت ايتها المفاخِر والمظاهر التي تحدثها نصرته الاولى أديلي لمجدي من غرامي، فاذا غلبتني الصبابة على أمري فراجعي فكرك وأذكريني واجبي الاليم

وأطعني غير هيابة موقع تلك اليد القاهرة من نفسي

الغيرة : هدّئي روعك، قد وفدت بنت الملك

المشهد الثاني

بنت الملك – شيان – ليونورة – الغيرة

بنت الملك : لست قادمة اليك لتسكين آلامك بل لأمزج زفراتي بزفراتك، ودموعي بدموعك

شيان : أحرى بك يا مولاتي ان تصيبي قسطاً من السرور العميم، وان تذوقي السعادة التي جاءتك بها العناية

ما لغيري ان يحزن في هـذا الوقت ، فقـد استطاع لذريق ان ينقذنا من الخطر، وردّت عليك أسلحته أمن البلاد وسلامتها، فأنا وحدي اليوم يجوز لي ذرف العبرات . حمى المدينة وخدم مليكه، ولم يكن بأس ساعده بؤساً على غيري

بنت الملك : أي شيماني، في الحق إنه اتى معجزات

شيان : لقد طرقت اذني هذه الأنباء المكدرة، وينتهي الى سمعي ما يذاع عنه في كل مكان من انه بالغٌ من السعادة في الحرب مبلغه من الشقاء في الحب

بنت الملك : وماذا يسوءك من هذه الاحاديث الشعبية، فان البطل الذي تطريه قد اعجبك من قبل، وكان يملك فؤادك، ويعيش تحت احكامك، فالإكبار لشأنه انما هو تشريف لاختيارك

شيمان : لكلٍّ ان يثني عليه ولا حرج، اما انا فأجد في ذلك الثناء تجديد العذاب، ويزداد المضض في نفسي بقدر ما يُعلون من شأنه إذا قيس ما خسرت بمقياس ما له من القدر. ما أنكأ هذه الاشجان في لبّ الفتاة المتيّمة!

كلما ازدادت معرفتي بمناقبه ازداد شغفي به، غير ان واجبي ما زال هو الأقوى، وسيتعقبه الى ان يأخذ لي حقي على غرامي به

بنت الملك : بالأمس رفعك هذا التشبث بهذا الواجب الى مقام عليّ وبدا لاهل العصر من نبل مجهودك وحسن جهادك لنفسك ما ملأ قلوبهم اعجاباً بك ورثاء لصبابتك، ولكن هل لك ان تنتصحي بنصح وديّ صادق ؟

شيمان : من الإثم ألا اطيعك يا مولاتي

بنت الملك : ما كان بالأمس حقًّا ليس اليوم بحقّ. قد اصبح لذريق سندنا الاوحد، واليه اتجه الهوى والامل من شعب يعبده، فهو أمنُ قشتالة وخوف المغاربة. للملك نفسه من عالي الرأي فيه ما لأمته

وكلهم يُجمع على حقيقة هي ان أباك قد بُعِث فيه وحده

واذا رغبت في بيان اصرح اوجزت لك بكلمتين : انك باصرارك على اهلاكه تهدمين سمعتك في البلاد ؛ اذ يقولون : أمن اجل الانتقام لأبيها تدفع بأوطانها الى ايدي اعدائها ؟ أمشروع منك ان تطالبي بما فيه بوارنا ؟

وهل نحن ضربنا بسهم في الجناية عليكِ ؟ لا ازعم انكِ على هذا مضطرّة للاقتران برجل كنت تطالبينه بدم ابيكِ بل أود لو استطعتُ ان ازيلَ من نفسِكِ هذه المكابرة . ذودي عنه غرامك، ودعيه لنا حيًّا

شيان : آه ! ليس من شأني ان اسعه برحمتي، وليس واجبي بالمطلَب الذي يحصره حيّز . نعم ان قلبي يشفع لهذا الظافر وان لنا شعباً يعبده، وملكاً يُلاطفه، ولكنني لو احاط به ابسل المحاربين لأويتُ الى ظلّ السَّرْو الذي أدفن فيه، وسوّدتُ بِعاره اكاليل غاره

بنت الملك : انها لمكرمة منا ان نبغي الانتقام لأب نبرّ به، فنطلب في ديته رأساً يعزّ علينا ، غير اننا نأتي مكرمة اسنى واسمى عند ما نبيح دمنا خدمة للأمة

لا وصدقيني انك اذا أطفأت لاعج هواك، وسرحته من فؤادك عاقبته اشدّ العقاب، ليَسُمْك حبك للبلاد هذا التجاوز ومع ذلك ماذا تظنين ان يمنحك الملك ؟

شيان : له ان يمنع، ولكنني لا استطيع الخنوع

بنت الملك : فكّري مليًّا يا شيماني في شأنك، استودعك الله وأدعك تتروّين في امرك على مهل

شيمان : بعد ان قتل ابي لا خيار لي في امري

المشهد الثالث

دن فرنان – دن دياج – دن ارياس – دن لذريق – دن سنش

دن فرنان : أيها الوارث الكريم لأسرة عريقة في المجد كانت وظلّت على الايام فخراً وذخراً لقشتالة . يا خير سليل لاجداد اشتهروا بإقدامهم

لم يَجُل جولته الاولى في مضمارهم حتى بلغ شأوهم

ليت لي من القدرة ما احسن به جزاءك

وهيهات ان يفي ما لي من الطَّول بما لك من الاستحقاق

ثنيتَ عن البلاد عدوًّا قويَّ الشكيمة، وثبَّتَّ بيدك صولجاني في يدي . دحرتَ المغاربة ولما يبدُرْ مني امر بصدِ هجماتهم وردِّ غاراتهم، فلم تبقِ تلك الهِمَمُ لربِّ هذا المُلك ذريعةً ولا املًا ان يُقابل احسانك باحسان . ولكن ملكين اسرتهما سيكونان ثوابك، فقد دعواك في حضرتي بالسيد

والسيد في لغتهما يعني الغطريف الصنديد، فلن انفِسَ عليك شرف هذا اللقب

كن منذ اليوم السِّيد، وليخضع كلٌّ لهذا الاسم العظيم وليغمر من الرعب غَرناطة وطُلَيْطِلَة، وليدلل جميع الذين يشملهم سلطاني على ما انت به خليق، وما انا به لك مدين

دن لذريق : ليتفضل جلالة مولاي ويقتصد في اخجالي، انك لتسدي اليَّ من الثواب ما تقصر دونه خدمتي وتستحييني تجاه هذا العاهل العظيم من قلة ما أجدر به من الالطاف ووفرة ما يعطي، وما انا من يجهل حق المُلك وحق سعادته على الدم الذي يحركني والهواء الذي اتنسمه . فلو وهبتهما في التماس ذلك المأرب الأسمى لم اقم بأكثر مما يجب على كلِّ من التبع

دن فرنان : ليس كل من يدعوه هذا الواجب الى خدمتي بمضطلع بها كما اضطلعت، ومُبدٍ من البسالة ما ابديت

واذا الشجاعة لم تفضِ الى الافراط في المغامرة لم يُدرك بها مثل هذا النجاح، فلا يشقّ عليَّ ان تمدح، وصِف لي باسهاب ما كان من امر هذا الفوز المبين على حقيقته

دن لذريق : علمتَ يا مولاي حينما ألحَّ الخطر، والقى في المدينة من الرعب ما القى، ان عصابة من الاصدقاء التقت لدى والدي، ورغبت اليَّ في زعامتها على ما كان لي من الاضطراب ولكن

يا مولاي اغتفر لي بدءًا ان اجترأت على تسييرها من غير اذنك فقد وضح عذري، اذ كان الخطب داهماً، والعصابة متأهبة، فلو جئت القصر لكان رأسي عرضة للسقوط . ولمّا لم يكن لي بدٌّ من فقده، آثرت ان افارق الحياة مجاهداً في سبيلك

دن فرنان : اعذر زماعك في الانتقام لأبيك، وهذا ملكي الذي سددت ثغره يخاطبني في الدفاع عنك، فأيقن ان شيمان – قائلة ما قالت بعد اليوم – لن تسترعي سمعي، ولن اعمد الا تعزيتها . امضِ في حديثك

دن لذريق : سارت تلك العصابة تحت إمرتي وعلى وجوهها آية ثقتها بأنفسها. كنا خمسمائة فما حصلنا في الميناء حتى تمت عدتنا ثلاثة آلاف من أناس رأونا نمشي الى الكفاح بتلك الوجوه الصباح، فعاودت الشجاعة من زايلته منهم . خبأتُ ثلثيهم منذ ادركنا المرفأ في بطون المراكب التي كانت راسية، واقررت الآخرين ومن توافد على الولاء من الاعوان، فلبثوا حيالي متحرّقين الى الصدام، لاصقين بالثرى، لا يسمع لهم دويّ ولا ركز، يمرّ بهم الهزيع تلوَ الهزيع من تلك الليلة الشائقة. كذلك توارى بأمري العسس لازمين كمينهم لاستكمال الحيلة، وفي كل ذلك زعمتُ انني تلقيتُ منك الأمر، فامتثلته ونقلته اليهم جميعاً

لم تعتّم تلك الانوار الضئيلة التي تتحدّر من الكواكب ان أرَتنا ثلاثين شراعاً يقدمها مدّ البحر. طغى الموج تحت المراكب ورمى بالمغاربة والقوارب، فتركناهم يجوزون لا يتحرّك منا ساكن، ولا يبدو لهم حرسيّ في الميناء ولا جندي على اسوار المدينة. خدعهم صمتنا، وانقطاع الانفاس، فلم يشكّوا في انهم اخذونا على غِرّة

دنوا من البرّ بلا حذر، والقوا مراسيهم وتدفّقوا متراكضين — وما يظنون — نحو ايدي القنّاصةِ الراصدين، فهبْنا عندئذٍ إلباً واحداً، وقرعنا اسماعهم بألف صوت جهير، وَصدعت عنان السماء صيحة رائعة ردّدها رجالنا الكامنون في مراكبنا، ثم اقبلوا مدججين، فاختلط حابل البربر بنابلهم واخذتهم الرعدة قبل ان يتم نزولهم وشعروا بهلاكهم قبل المقاتلة

اوضعوا واخبّوا يبغون النهب، فإذا هم يلاقون تعبئة حرب، فأحرجناهم على الماء، وزحمناهم على البرّ، واجرينا من دمائهم انهاراً قبل ان يقاوم احدهم او يرجع الى صفّه؛ غير ان امراءهم لم يلبثوا ان ضمّوا شتاتهم فبُعثت الشجاعة فيهم، وزالت مخاوفهم، وغلب الحياء عليهم من لقاء الحِمام قبل الصدام، فتألفوا من اختلاط، وراجعتهم بسالتهم، فصمدوا الينا بأقدام ثابتة، وامتشقوا سيوفهم ودرّ من دمائهم ودمائنا مزيج

يعج متلاحماً، فإذا البحر والنهر واسطولهم والميناء حومات المتناحرين، تتبارى بينهم المنايا

شهد الله كم كرّ وكم اقدام لم يشهد روائعها الا الظلام . اذ يفتك كل فاتك قدير ولا شاهد له ألّا نفسه وما يدري ايّ منقلب ينقلب الجلاد في عقباه . وكنت اتجه كل متّجه مشجعاً رجالنا . ادفع اناساً آخرين واسلك القادمين للنجدة في الصفوف وأظاهرهم ثم أرمي بهم الى الامام، فلم أتبيّن نتيجة القتال ألّا طلعة الفجر . تألقَ الضياء فكان الاقبالُ في جانبنا، ورأى المغاربة سوءَ مصيرهم، فَفُتَّ في سواعدهم، وراعهم تقاطر الاعوان الينا في اثر الأعوان، فغلب خوف المنون على الرغبة في الاستظهار، وتراجعوا الى مراكبهم يقطعون مراسيها، ويجأرون جأرات دوّت اصداؤها في الآفاق. ثم نكصوا على الأعقاب غير مبالين ما آل اليه مليكاهم المتخلِّفان، صدفهم الهلع عن الصبر للواجب، وكما أدناهم المدّ منا اقصاهم الجزر عنا، على ان مليكيهم ظلّا مشتبكين بنا والى جانبهما جنود مثخنون جراحاً، يكافحون كفاح الصناديد، ويبيعون أعمارهم بأغلى الأثمان، فأهبْت بهما غير مرة ادعوهما الى التسليم ولكنهما أبياه والسيفان مصلتان، حتى اذا رأيا فلول جيشهما صرعى مجدلين ولبثا منفردين لا يغني منهما الجلَد ولا المكابرة

طلبا الزعيم . فتسميت لهما، فسلما، فسيّرتهما كليهما اليك في آنٍ وانتهى القتال بفناء المقاتلين

على هذه الصورة تصدّيت للخدمة . . .

المشهد الرابع

دن فرنان – دن دياج – دن لذريق – دن ارياس – دن النس – دن سنش

دن النس : مولاي ، شيمان تلتمس المثول لعرض شكواها

دن فرنان : خبر سيّئ وواجب ثقيل !

انصرف، لا اريد اكراهها على رؤيتك، ويتعين عليّ بدلًا من الشكر ان اقصيك الآن عن حضرتي، ولكن قبل ان تخرج تعالَ ليُقبّلك الملك (دن لذريق يخرج)

دن دياج : شيمان تتعقبه وتود نجاته

دن فرنان : قيل لي انها تهواه، وسأختبر هواها، أرِها عيناً مكتئبة

المشهد الخامس

دن فرنان – دن دياج – – دن ارياس – دن سنش – دن النس – شيمان – الغيرة

دن فرنان : لك البشرى وان ابطأتِ يا شيمان، فقد نجّح الله قصدك

وقضى لك وطراً . انتصر لذريق على اعدائنا، ولكنه توفي تحت بصرنا من اثر الجراح، فاحمدي الله الذي ادال لك (الى دن دياج) انظر كيف شحب لونها لهذا النبأ

دن دياج : وانظر كيف اخذتها الغشية من شدة هواها، ثم اعجب يا مولاي من ظاهر الغم عليها، قد هتك حزنها سرائرَ نفسها، ولم يترك لك ريباً في هيامها

شيمان : أمات اذن لذريق ؟

دن فرنان : لا . لا . إنه ما زال حيًّا، وما زال محتفظاً بعهده، مقيماً على ودّه، فرفّهي عنكِ، ولطِّفي من جزعك عليه

شيمان : مولاي، يُدار بالمرء من الفرح كما يُدار به من الترح، وفرط الجذل اذا فاجأ النفس ملك عليها حواسها، واوهى شغاف القلب

دن فرنان : ترومين يا شيمان تصديق ما تكذّبه شهادة العيان وقد ظهر عليك الأسى بأجلى مظاهره

شيمان : ايه يا مولاي، أضف هذا الظن بي الى شدة تعسي وهب الغاشية التي غشيتني جزعاً عليه فان حزني ــ ولي فيه كل العذر ــ قد ارابكم في كنه أمري، وانما فجعني نعيه لسقوط رأسه في غير وتري ؛ ولأنه لو أودت به جراحه في سبيل البلاد لفسد انتقامي واخفقت مساعيَّ . تلك ميتة كريمة اراها

غير عادلة في حقي، اما التي اريدها له ميتة لا يصحبها فخار، ولا تحيط بها أبهة ترفعه الى أعلى الذرى، ميتة تدركه لا في ميدان الشرف بل على المقصلة . فليُقتل من اجل ابي لا من اجل الوطن، وليكن اسمه ملوثاً وذكراه مشينة. اما ضيعة العمر من اجل الوطن فليست بغبن. بل هي الخلود في ابرع صورة للفناء، فخليقٌ بي ان اغتبط بانتصاره، ولا جناح عليّ، اذ انتصاره يعزّ الدولة، ويردّ على غريمي عالي القدر في الرجال، مرفوع الذكر في الابطال، متوّج الرأس لا بالازهار ولكن بالغار، أليق ما يكون قرباناً لبقايا والدي، يا ويحي لقد أبعدت مرمى املي . هل على لذريق بأس يخشاه مني وما عليه من دموع انما تزري على ذرافها

قد اصبح المُلكُ بأسره مأمناً له ومعتصماً، وكل حرام عاد له مباحاً تحت سلطانك، استظهر عليٌ كما استظهر على الاعداء، واراق من الدماء الزكية ما شرف به العدل حتى اختنق، فلم يكن جزاء المنتصر – على جرائمه – إلّا حلية جديدة اضيفت الى حلاه وزينة ذات بهارج، مشينا فيها بكره الانصاف وراء مركبة الظافر يحفّ بها ملكان اسيران

دن فرنان : يا ابنتي جاوزتِ الحد في سورة غضبك، اما موقع الاحكام فشأنه ان يزن القضايا بميزان النزاهة

قُتل ابوكِ إلّا انه المعتدي، وتلقاء ذلك يأمرني العدل بالرحمة فشاوري قلبكِ قبل ان تتهميني في ما بدا مني، ولا جرم ان الغرام الذي تنضم عليه جوانحك يحمد المليك لابقائه على عشيق لك، ناهيك به من عشيق

شيمان : ابسببي تبقى على عدوّي، على مثير حنقي، على مسبب مصائبي، على قاتل ابي . انك لا تقدُر مسلكي القويم قدره وتحسبني شكوراً لإعراضك عن ظلامتي

فأما وانت لا تُشكيني مما اشكو اليك بدموعي، فأذن يا مولاي ان الجأ الى السلاح ؛ هو بالسيف الحق بي العار وانا بالسيف اتقاضى الثأر، اني لأطلب رأسه من جميع فرسانك . اجل ، ومن جاءني به كنت له حليلة، فليبارزه يا مولاي، فمن انتقم لي من لذريق رضيت به قريناً

دن فرنان : تلك العادة القديمة التي اصطلح عليها قومي، وزعمهم انها تأخذ للمظلوم من الظالم، تضعف الدولة، وتحرمها خيرة ابطالها، على انه يغلب من جرّاء هذه العادة الذميمة ان البريء يهضم، والأثيم يعظم، فأنا اعفي منها لذريق وهو اكرم عليّ من تعريضه لتصاريف لا تؤمن بدراتها . لئن يكن لذلك القلب النبيل ذنب لقد ذهب به المغاربة وهم منهزمون

دن دياج : مهلًا مولاي، أمن اجله وحده تغيّر شرعة جرى عليها

اهل البلاط قديماً وما فتئت مرعية. فما يظن شعبك وما يقول الحسّاد اذا اطاع لذريق نهيك وارعى على حياته، واتخذ منه عذراً ليكون بمفازة حين يخوض اولو الشرف والإباء غمار الحومات في التماس ردى كريم؟ ان مثل هذه المحاباة لتمسه في مجده مساً مبرّحاً، فدعه يتذوّق ثمرات فوزه بلا تنغيص. قد اعتدى الكنت على ابيه فتولّى عنه جزاءه، وابلى في لقائه بلاء الباسل، فليكن باسلاً الى النهاية

دن فرنان : إجابة الى طلبك آذن ان يبارز، ولكنه قد يغلب واحداً فيحلّ الف محله؛ لان وعد شيمان يستعدي عليه فرساني بأسرهم، فليس من العدل تصدّيه وحده لهم جميعاً. وحسبه ان يدخل في نزالٍ واحدٍ

اختاري يا شيمان من تشائين، واحسني اختيارك، فإذا انقضى هذا الكفاح فلا تسأليني مزيداً

دن دياج : لا تجعل امرك هذا عذراً لتبجّح الذين يخشون بأسه. ودع الميدان مفتوحاً. اذن لا يدخله احد، فبعد الذي ابداه لذريق اليوم، مَنِ القرمُ العنيد الذي ينبري له؟

من الذي يغامر بحياته في لقاء قرن مثله؟

من يكون ذلك المقدام او ذلك الجسور؟

دن سنش : مروا بفتح الميدان . انا ذلك المقتحم . انا ذلك الجسور او ذلك المقدام . جودي بهذه المنّة على من يشتعل قلبه بهواك، وتذكري يا سيدتي وعداً استنجزه

دن فرنان : شيمان، اتجعلين قضيتك بين يديه ؟

شيمان : مولاي، سبق الوعد

دن فرنان : تأهب لغد

دن دياج : لا يا مولاي، لا يحسن الإرجاء، والشجاع الحق يكون على اهبة في كل آن

دن فرنان : أيخرج من جهاد، ويدخل في جلاد على الأثر ؟

دن دياج : قد استجمّ لذريق مدة ما قصّ عليك الواقعة

دن فرنان : فليسترح ساعة او اثنتين، وحذار من ان يعدّ هذا البراز قدوة يقتدى بها، ليعلم كل قاصٍ ودانٍ انني بغير رضاي ابحث امراً لا يليق بي

فان اشهد هذه المكافحة، ولن يشهدها رجال قصري . (الى دن ارياس) انت وحدك تحكم في اي المتبارزين أبسل وتحرص ان يتصرّف احدهما تصرفاً يأباه الكرم، فاذا انتهى النزال احضر اليّ الغالب ايهما كان ليصيب الجزاء الموعود؛ اريد ان اقدمه لشيمان بيدي، فتكافئه بالمعاهدة على القران

شيمان : رحماك مولاي، أتلزمني هذا الحكم القاسي

دن فرنان : تشكين، ولكنّ حُبَّك ينكر عليك الشكوى ويقبل بلا اكراه لذريق اذا عاد ظافراً، فدعي التأفف من حكم يستعذبه قلبك

وأيّ النِدَّين عاد منتصراً سأجعله لك قريناً

الفصل الخامس

المشهد الاول

دن لذريق – شيمان

شيمان : أأنت يا لذريق، وفي رائعة النهار؟ أنّى لك هذه الجرأة؟ اذهب او تفقدني شرفي. إنصرف عني، ابتهل اليك مستعطفة

دن لذريق : انا ذاهب الى الموت يا سيدتي، وقد جئتك في هذا المكان لأودّعك آخر وداع قبل ان اتلقى الضربة القاضية. وان هواك لأثبت في فؤادي من ان ارى الردى، ولا اجعله لك فدًى

شيمان : اتمضي الى الموت؟

دن لذريق : سأبادر الى تلك الهنيهة الهنيئة، اقدّم فيها حياتي لشفاء احقادك

شيمان : تمضي الى الموت! اترى في دن سنش من شدة البأس ما يحدث ذعراً في قلبٍ لا يقهر؟ ماذا اوهنك الى هذا الحدّ او ماذا قوّاه الى هذا الحدّ؟

أَلذريق يذهب للنزال فيتوهم انه قتيل ولما يُقتَل؟

اذاك الذي لم يخشَ المغاربة، ولم تأخذه الرهبة من ابي يمضي للقاء دن سنش فييأس قبل مظنة اليأس ؟

وعلى هذا فقد تكون حالة ينخلع فيها قلبك

دن لذريق : ابادر الى العذاب لا الى القتال، وصدق هوايَ لك قد ازال ولا ريب من نفسي ادنى رغبة في بقائي حين تطلبين مماتي . قلبي هو هو، ولكنني لا ساعد لي احفظ به ما لا ترضين عنه . في الليلة البارحة اوشكتُ ان أُلحَقَ بالفارين لو كانت المناوأة في شأنٍ لي، فاما وقد كنت اذود عن ملكي وشعبه وبلادي فقد خشيت ان اخونهم بسوء الدفاع عن نفسي، وفي قلبي من الكرم ما لا يبغِّض الحياة عليه الى حد ان يخرج منها وقد اقترف غدراً

امّا الآن والمسألة لا تعدو مصلحتي بانفرادي، فأنت تتقاضين موتي، وانا امتثل لقضائك، وقد تقاضاك الحنق الى ايثار يد غيرك ــ اذ لم اكن خليقاً ان اموت بيدك ــ فلن اصدَّ عني ضربات ذلك الخصم اذ هو احق ما اراه برعايتي لانه يقاتل في سبيلك، واجذل ما اكون لعلمي ان ضرباته آتية منك، وان سلاحه يشهر في سبيل شرفك . وسأكشف له صدري لا يقيه مجنّ . وسأعبد في يده يدَكَ التي تُودي بحياتي

شيمان : اذا كان واجبي الأليم، وقد اثار بي غضباً مشروعاً وحداني على هذه الخصومة، قد حكم هذا الحكم القاسي على

حُبِّكَ لي، فحال دون ذَوْدِك عن نفسك من هجوم المطالب بحقي، فلا تنسَ في هذه الضلالة التي غشَّت على بصرك ان الخطب لا يقتصر على حياتك بل يتناول مجدك . وان حسن سمعتك بالغاً ما بلغ في ايامك لن يدفع قول الناس اذا قُتِلتَ إنك غُلِبتَ، ولا جرم ان شرفك احب اليك مني، اذ انه غمس يديك في دم ابي، وجعلك على هُيامك بي تؤثره على قربي، ومازلت — كما ارى — لا تحسب لهذا الشرف ادنى حساب، فتأبى ان تُحسن البلاء في القتال، وترضى ان يُنال منك، فاي تباين في الخُلق يوهي عزّة نفسك، وعَلامَ تخليتَ عنها ؟ او علام تحلّيتَ بها قبلاً . عجباً ! ألست اسداً ألا عليّ ؟ فإذا خلا النزال من اساءة اليّ فارقتك البسالة

أيهون عليك والدي وانت غالبه، فتَسْتَسهِل بعده ان يغلبك احد . امضِ غير مصرٍّ على الموت، ودعني اتعقبك . وان لم تكن راغباً في البقاء فلا يفُتْكَ النضحُ عن شرفك

دن لذريق : بعد مقتل الكنت واندحار المغاربة أيتطلع مجدي الى المزيد ؟ لي ان اهمل الدفاع عن نفسي بعد ان شهدَت مواقفي بكفايتي لكل عظيمة، ومضائي في كل مهمة، وبأنه ما من شيء تحت السماء يعزّ عليّ اكثر من شرفي

لا . لا . والأمر على غير ما تتوهمين، يقضي لذريق في

هذا النزال موفور الكرامة، لا يجرؤ احد على اتهامه في شجاعته، ولن يُعدَّ مغلوباً، ولن يعرَفَ له غالبٌ. وانما سيقول القائلون : « كان يعبد شيمان، فلم يرضَ بالعيش وهي عليه حانقة، فاستسلم مختاراً لأمر التصاريف، وقد ابت هذه على معشوقته الّا ان تبغي هلاكه؛ ارادت رأسه فأوحى اليه قلبه النبيل انه اذا ضنَّ به عليها اذنبَ اليها، فلإنقاذ شرفه اضاع غرامه . وللأخذ بثأر مُتيَّمته وهب عمره، لم يكترث للأمل يخامر نفسه المشغولة بها، وآثر شرفه على شيمان وشيمان على حياته » . وهكذا ستعلمين ان منيَّتي في هذا الثِّقاف لا تشوب مجدي بشائبة بل تزيده سُطوعاً، ولي شرف آخر يعقب موتي الطوعي، وهو انه لم يكن في وسع آخر سواي ليرضيك

شيمان : اما وليس لحياتك ولا لشرفك نهي عليك، ولا امر في الاستبسال، فإذا كنت قد هويتك يا حبيبي لذريق، فاجعل عوضي من هذا الحبّ ان تذود عن نفسك لتنقذني من دن سنش . قاتل لتحرّرني من رقّ من لا احب . أأزيدك على ما قلت : اذهب، ونازل، وفز لتغلبني على واجبي، وتكرهني على الصمت، واذا كنت تشعر بان قلبك ما زال مشغوفاً بي فاخرج ظافراً من نزال جزاؤه شيمان، استودعك الله . هذه التي بدرت مني يندى لها جبيني

دن لذريق : أيّ عدوّ لا أكبح اليوم جماحه !

تعالوا يا اهـل نافار والمغرب وقشتالة وفرسان اسبانيا وصناديدها اجمعين، تألبوا إلباً واحداً، واجمعوا جيشاً عرمرماً لتقاتلوا ساعداً مسلحاً بمثل ما سلح به ساعدي . ضموا اشتات قواكم في وجه امل عذب كأملي، فما والله تكفون باسركم لتنالوا منه منالا

المشهد الثاني

بنت الملك

بنت الملك : أأظل مصغية اليك يا حرصي على محتدي، وانت تعد عليّ الحب ذنباً ؟ أأستمع لك يا غراماً يهيج بسلطانه الموموق اماني نفسي، ويستعديها على ذلك المستبد العاتي . مسكينة ايتها الاميرة، ايّ الداعيين يجب ان تجيبي ؟

لذريق، ان اقدامك يجعلك اهلاً لي، ولكنك على بسالتك لست بسليل مليك، يا للدهر الغشوم يفرق بين مجدي وصبابتي . اكان في الظن ان غرامي برجل لا كِفْل له في الرجال يسوم مهجتي اشجاناً كهذه الاشجان

وا ربّاه ! كم من زفرة يجب ان يتهيأ قلبي لتصعيدها اذا فاتني بعد هذا العذاب المديد سلوّ يخمد لوعتي، او قرب يبرّد

غلّتي، ولكنني افرطت في احترازي ويأبى ضميري ان يضع موضع الزراية فتى بلغ ذلك المبلغ من الكفاية

نعم، ان نسَبي يخص بي الملوك دون سواهم، غير انني يا لذريق اعيش هانئة تحت ولايتك، وهل بعد انتصارك على ملكين يفوتك ان تصبح رب تاج . او ليس اسم السيد الذي لُقبتَ به، وانه لعظيم، دالًا بلا مراء على من يليق ان تبسط سلطانك عليه. هو اهلٌ لي ولكنه لشيمان. وهبته لها هبة عاد عليَّ ضيرها، على ان قتله اباها لم يُثِرْ بينهما من البغضاء الا النزر اليسير بحيث ان واجب الاخذ بالثأر يتعقبه آسفاً فلا ننتظرنَّ ثمرة وان قلّت من جريمته ومن شغلي به اذ ان القضاء لم يرق لي، واعلى كلمة الغرام على الرغبة في الانتقام

المشهد الثالث

بنت الملك - ليونورة

بنت الملك : علامَ جئت يا ليونورة ؟

ليونورة : جئت لأهنئك يا مولاتي بعود الصفاء الى نفسك

بنت الملك : ومن اين يأتي الصفاء في هذا الكدر الشديد ؟

ليونورة : اذا كان الهوى يحيا بحياة الامل، ويموت بموته، فقد بطل سحر لذريق وبرئ قلبك من رقاه، فذلك النزال الذي حثته اليه شيمان على ان يقتل فيه، او يغدو بعلًا لها قد اودى بأملك، ولكنه شفى نفسك

بنت الملك : آه ! دون ذلك مدى قُذُفٌ

ليونورة : ابقي لكِ فيه مطمع ؟

بنت الملك : بل أيّ مطمع تحظرينه عليّ وفي وسعي ان اكيد كيدي لخيبة الأمل الذي تعلّل به في ذلك النزال، وما اكثر الحيل التي يوحيها الغرام الى عقول العشاق الذين كابدوا تباريحه

ليونورة : ما الذي تستطيعينه، وقد عجز مقتل ابيها عن ايقاد جذوة الشقاق بين قلبيهما، وشيمان تبدي في سيرتها اليوم، غير متورعة، ان البغضاء ليست السبب في خصومتها، فقد فازت بإباحة القتال، ورضيت من اجل عاشقها بان تكون زوجاً لاول من يُقدّم لها . لم تلجأ الى سواعد مدربة قوية اصلبتها المعارك الشهيرة المتعددة، واجتزأت بدن سنش دون سواه لانه سينتضي السلاح لأول مرة، استحبت منه انه عادم الخبرة لم تسبق له شهرة بالجلاد، فأوردته بلا حذر ورد الأريب في عقباه . وذاك عمل ليس مرماه بسرّ، فهي انما آثرت هذا النزال ليقوم معه عذرها في مخالفة ما يجب، هيأت به للذريق نصراً ميسوراً حتى اذا أحرزه تظاهرت بالانضواء لامر القضاء

بنت الملك : لمحت هذا، سوى ان قلبي ينافس شيمان في عبادة ذلك الظافر، فأي شطر ترين ان اولّي وجهي، وانا العاشقة المنكودة

ليونورة : تذكري، جهدك، بنتُ من انت . إذا وعد الله لك مَلِكاً أفتشغلين قلبك بمن دونه مقاماً ؟

بنت الملك : قد تغير مرمى غرامي، فما شغفي بلذريق من حيث لا يعدو الرجل النبيل، كلا ويعيذه حبي ان اسميه بهذا الاسم، إن اهوى الا صاحب الملاحم المرفوعة الذكر في الأنباء، الشجاع الملقب بالسيد، الذي اصبح من اتباعه ملكان . على انني سأتغلب على نفسي، لا خشية الملام، بل صوناً لغرامي من شبهة تعلق به . فلو انهم اصطنعوني، وزانوا لي مفرقه بالتاج لأبيت ان آخذ اليد التي اعطيت واذا كان محتوماً له الفوز في عقبى ذلك النزال فلنمضِ ولنهبه مرة اخرى لشيمان

اما انت التي رأيت مواقع السهام من قلبي، فتعالي واشهدي كيف أتم ما بدأت

المشهد الرابع

شيمان – الغيرة

شيمان : الغيرة ، ما اشد ألمي، وما اجدرني بالرثاء، لا اعرف ما ارجو ويلوح لي كل ما اخشى . تبدُرُ مني الاماني، فما

اجسر ان اتمناها وما ابتغي من شيء الا والندم العاجل لزامه

دفعت متناظرَين في حبي الى امتشاق الحسام، وايهما افلح اجرى سخين دمعي، ومهما يكن من ترقب ذات الغيب فإني بين خطبين : ابي ولم ينتقم له، او عشيقي وقد قُتل

الفيرة : بل اجد ان احدى العاقبتين ستخفف من برحائك . فاما لذريق تفوزين بقربه، واما ثأرك تدركينه . ومهما يكن من تصرفات الدهر في امرك، فهو اما يؤيد مجدك او يهبُ لك حليلًا

شيمان : واعجبا ! اذلك الـذي امقته ام ذلك الذي اطالبه بوتري ؟ اقاتل لذريق ام قاتل ابي ؟ احدهما يجعل لي قريناً واتلقاه مخضَّباً باكرم دم عليَّ . تثور نفسي من كلا الجانبين وما اخاف الموت كما اخاف عقبى هذه الخصومة

يا انتقامي وياحبي، اليكما عني، فقد قذفتما في روعي بلبالًا لا تعادله لذة تستفاد منكما

وانت ايها المحرك القدير لما اشكو من تصاريف المقادير اختم هذا البراز لا تعلو فيه كلمة ند على ند ولا يكون فيه غالب ولا مغلوب

الفيرة : لو استجيب دعاؤك لعدت اشد بؤساً، ولقيت من جراء هذا النزال عذاباً جديداً . لخير لك من ان تظلي بعدهُ مهضومة

الحق مهتاجة بما يساورك من عوامل الحقد، مطالبة من غير هوادة بموت من تحبين، لخير لك يا سيدتي ان يعود لذريق وافر العزة بما اوتيه من البأس متوج الرأس فتنزلي كظيمة الغيظ على حكم النزال، ويكرهك الملك على ادراك ما تشتهين

شيمان : أَجِدَّكِ! اذا فاز فهل تظنين انني استسلم؟ لواجبي اسمى وخسارتي اعظم من ان يتقيدا بحكم السيف او بأمر الملك. يقدر لذريق على قهر دن سنش بلا عناء، ولكنه لا يقدر على المساس بمجد شيمان، ولست أبالي وعد الملك له. فان صدق عزيمتي في الذود عن شرفي يجد له ألف عدو

الفيرة : احذري ان يحاسبك الله على هذه الكبرياء فيأذن ان ينتقم لك دن سنش. يا عجباً! أتظلين ترغبين عن السعادة، وتأبين ان يتسنى لك الامتثال مع سلامة الشرف، ماذا يريد هذا الواجب، والى اين ينتهي امله؟ أَبِمَوْتِ عشيقك يُبْعَث ابوك حيًّا؟ أقليل عليك ان تصابي برزء واحد؟ وهل تلتمسين غبناً فوق غبن، وحزناً فوق حزن. انك مع مجاراتك لطبعك على ما يشاء من التبدل والتحول، لا تكونين جديرة بالعاشق الذي يبتغونه لك قريناً، وقد نرى من سخط القدر - اذا استجاب لك - آية تذهب بلذريق، وتدع لك دن سنش بعلًا

شيمان : حسبي يا الفيرة ما اكابد من نوازع النفس، فلا تضاعفيها بهذا التنبوء الوبيل. ابغي لو استطعت ان اخلص منهما

كليهما، والا فان آخر دعائي ان يظفر لذريق في هذا النزال لا لأن فرط الهيام يجنح بي الى جانبه، ولكن خشيةً من مآلي الى دن سنش . ومن هذه الخشية تتولّد امنيتي . وا شقوتاه ! ماذا ارى ؟ الفيرة، قُضي الامر

المشهد الخامس

دن سنش - شيمان - الفيرة

دن سنش : بكرهي القي على قدميك هذا السيف

شيمان : ويلاه !! السيف المخضب بدم لذريق ؟

ايها الغادر اتجرؤ ان تظهر امام عيني بعد ان حرمتني احبّ شيء لديّ . أمِط نقابك يا غرامي فما عليك اليوم من بأس . رضي ابي وحَسْبُك تكتماً . ضربةٌ واحدة امنت شرفي، وأيأست نفسي، واطلقت صبابتي من سجن صدري

دن سنش : هدئي جأشك

شيمان : اتخاطبني بعد ؟ ايها القاتل البغيض لبطلِ اعبده، اذهب فقد اخذتَه غيلةً، ومثل ذلك المغوار الصنديد ما كان ليُقتلَ بيد مبارز من طِرازك . لا تُنِط بي املاً ما، ولا شكر على خدمتك، فلئن زعمت انك انتقمت لي لقد ازلت حياتي

دن سنش : ما اغرب هذه الفورة التي تُصمّها عن سماع ...

شيان : أتبغي ان اسمع منك كلمات الفخر والتباهي، وان اصبر على ما تذكره، في قحة وخيلاء، من وصف صرعته وجريمتي وشجاعتك

المشهد السادس

دن فرنان – دن دياج – دن ارياس – دن سنش – دن النس – شيان – الغيرة

شيان : مولاي، برح الآن الخفاء بعد طول المجادلة، ولات حين كتمان . كنت اهوى وتعلم سريرتي . غير انني صممت على اباحة ذلك الرأس العزيز، للأخذ بثأر ابي، وقد رأيت بعينيك يا صاحب الجلالة كيف اذللت غرامي لواجبي، فالآن مات لذريق وموته حوّلني من عدوّة شديدة الى عاشقة مدلّهة

كان هذا الانتقام ديناً عليّ لبرّي بوالدي، وهذه العبرات اليوم دين عليّ لهواي . قضى عليّ دن سنش بتولّيه الذود عني، أفأكون الجزاء لذلك الساعد الذي اودى بي ؟

فيا مولاي، اذا كان للشفقة اثر في نفس ملك، فرحماك، وانقض ذلك العهد الذي ابرمته بكرهي، وقدّه مني مكافأة على قتله عديل روحي ان اتخلى له عن كل ما لي . فليخلني

ونفسي اعتزل الدنيا في دير مقدس، وابكي الى آخر نسمة من حياتي ابي وحبيبي

دن دياج : انها لمحبة يا مولاي، ولا تَرَ جُناحاً عليها ان تعترف بغرامها المحلل

دن فرنان : شيمان، عودي الى نفسك. لم يمت صاحبك، وانما غُلب دن سنش، ولم يصدقك النبأ

دن سنش : مولاي، انما خدعتها سورة نفسها، فقد جئت من الميدان عقبى النزال، وكان ذلك البطل الكريم الذي يتَّم فؤادها قد قال لي عندما اسقط السيف من يدي : «لا تخشَ نكيراً سأدع النصر لا لك ولا عليك، ذلك خير من ان أريق دماً عُرَض في سبيل شيمان، وبما أنَّ واجبي يدعوني الى المثول لدى الملك فاذهب اليها واخبرها بما جرى، وألقِ على قدميها حسام الظافر.» فبادرت اليها يا مولاي، ولكن رؤية السيف اطارت لبَّها . ظنتني انا الفائز اذ رأتني عائداً، وفاض غضبها بما كشف عن سريرتها، فتكلمت، وقد ثارت ثائرتها ووهى جلَدها، ولم تمكني من الافضاء بكلمة اليها . على انني وان كنت قد غُلبت، أراني مغتبطاً، ومع ما يملأ جوانحي من الهيام بها، ومع ما بُؤتُ به، وقد خسرتها، من فشلٍ لا يدرك مداه لست أقلى فشلي في جلاد كان من مغبته هذا الفوز الباهر لذلك الهوى الطاهر

دن فرنان : يا بنيتي لا ينبغي ان تخجلي من مثل هذا الوفاء في الحب ولا ان تعمدي لإنكاره وان دعاك اليه الخفر . مجدك مصون وشرفك سليم . وابوكِ راضٍ يكفيه منك انك، للأخذ بثأره، عرّضتِ لذريق غير مرّة للهلكة . فقد رأيت كيف يتصرّف الله بغير ما ننوي، وقد فعلت كل شيء لأبيك، فافعلي شيئاً لنفسك . لا تعصي ما اتقدم به اليك وتقبلي مني زوجاً تحبينه ذلك الحب

المشهد السابع

دن فرنان – دن دياج – دن ارياس

دن لذريق – دن النس – دن سنش – بنت الملك – شيمان – ليونورة – الغيرة

بنت الملك : كفكفي دموعك يا شيمان وتلقي بلا حزن هذا الغالب الكريم من يد أميرتك

دن لذريق : لا يسوؤكَ يا مولاي ان اجثو على قدميها في حضرتك إطاعة لغرامي . لست، يا سيدتي، بموقفي منك الآن مطالباً بجزائي، بل انا آتٍ مرة اخرى لأقدم لك رأسي غير متذرع لديك بحكم المليك، ولا بشرع النزال، فإذا كان كل ما عُمل اقل مما يجب لوالد، فقولي بماذا استطيع ارضاءك . اتريدين ان اصارع ألفاً بعد الف من الشجعان، وان أتبسط في فتوحي

الى اقاصي الدنيا، وان اقتحم بمفردي معسكراً، واهزم جيشاً، وان أبزّ ببعد شهرتي ابطال السير . فإن كان ذنبي يُغسل بتلك الفعال اضطلعت بكل امرٍ جسيم وأتيت بكل عجب عجاب . اما اذا كان ذلك الشرف السنيّ غلةً لا تُبَرَّد الّا بوفاتي، فلا تسلِّحي عليَّ بعدُ يدَ إنسيّ . بل هذا رأسي على قدميك فانتقمي بيديك . ويداك وحدهما حقيقتان بقهر من لا يُقهر . خذي من الثأر بما لا يستطيعه سواك، وعندئذٍ ليكفك عقاباً لي ان يضحُوَ ظلّي . فإن أبعدْ، فلا تريديني بالسلوّ بُعداً، واذا ما أتاح لك موتي صيانة لمجدك، فاجعلي جزائي الاحتفاظَ بذكراي، وقولي احياناً في أسفٍ عليّ : لولا هواه لَمَا جاد بحياته

شيان : انهض يا لذريق . انني لأقرّ يا مولاي ان ما قلته اثبت من ان استطيع له نقضاً . هيهات ان اقدر على مقت لذريق وفيه تلك الفضائل . ومتى امر الملك وجب الامتثال . بيد انه مهما يكن الامر الذي تسومونني، فهل بوسعكم ان تشهدوا مثل هذا الزواج ؟ واذا الزمتموني من الاذعان ما يأباه واجبي أفيُمْضى بذلك العدل كل العدل . ان اصبح لذريق حاجة للدولة فهل تعيّن عليَّ ان اكون الجزاء لما يفعله في سبيلكم، وان أعرّض نفسي لتأنيبٍ سرمديّ على تخضيبي معصمي بدم والدي

دن فرنان : كثيراً ما جرى أن الزمان هوّن ما كان صعباً، وأحلّ ما عُدّ حراماً . قد كسبك لذريق ويجب ان تكوني له .

ولكنني على ما ثبت من حقه لا اقف منك موقف غير المكترث، لما يوجبه سناء مقامك، ولا اتعجل في منحه ثمرة انتصاره، فإذا أرجئ القران فلا مخالفة، والحكم بالزواج لم يقيّد بميقات، فلك مهلة سنة تكفكفين فيها عبراتك . وانت يا لذريق عليك في هذه المدة ان تحمل السلاح . دحرت المغاربة على شواطئنا، وعكست عليهم مراميهم وابطلت مساعيهم، فاذهب الآن اليهم في نفس بلادهم وشنّ عليهم الغارات مؤمّراً على جيشٍ، موكّلاً بانزال الثبور في اعدائي، ففي اسم السيد كفاية بالقاء الرعب في قلوبهم، وقد دعوك مولى فربما ارادوك ملكاً . ولكن الزم الوفاء لشيمان اثناء صولاتك العظيمة . ثم عُد، اعادك الله غانماً، اولى بها مما كنت ؛ أعلِ ذكرك وضاعف شأنك بحسن بلائك حتى يصبح من الفخر لها يومئذٍ ان تقترن بك

دن لذريق : من اجل الظفر بشيمان والقيام بخدمتك ايُّ أمرٍ، وان جل، يتعذر عليَّ إنفاذه، ومهما يشقّ عليَّ بُعدُها عن عينيّ، فحسبي يا مولاي ان امسي على امل من رضاها

دن فرنان : نط أملك بشجاعتك، وَكِلْهُ الى وعدي، فأما ومكانك أعز مكان في قلب شيمان، فخير حلّ لعقدة الشرف التي حالت بينكما، ان تدع الزمن يفعل فعله، وان تعتمد على شجاعتك وعلى مليكك

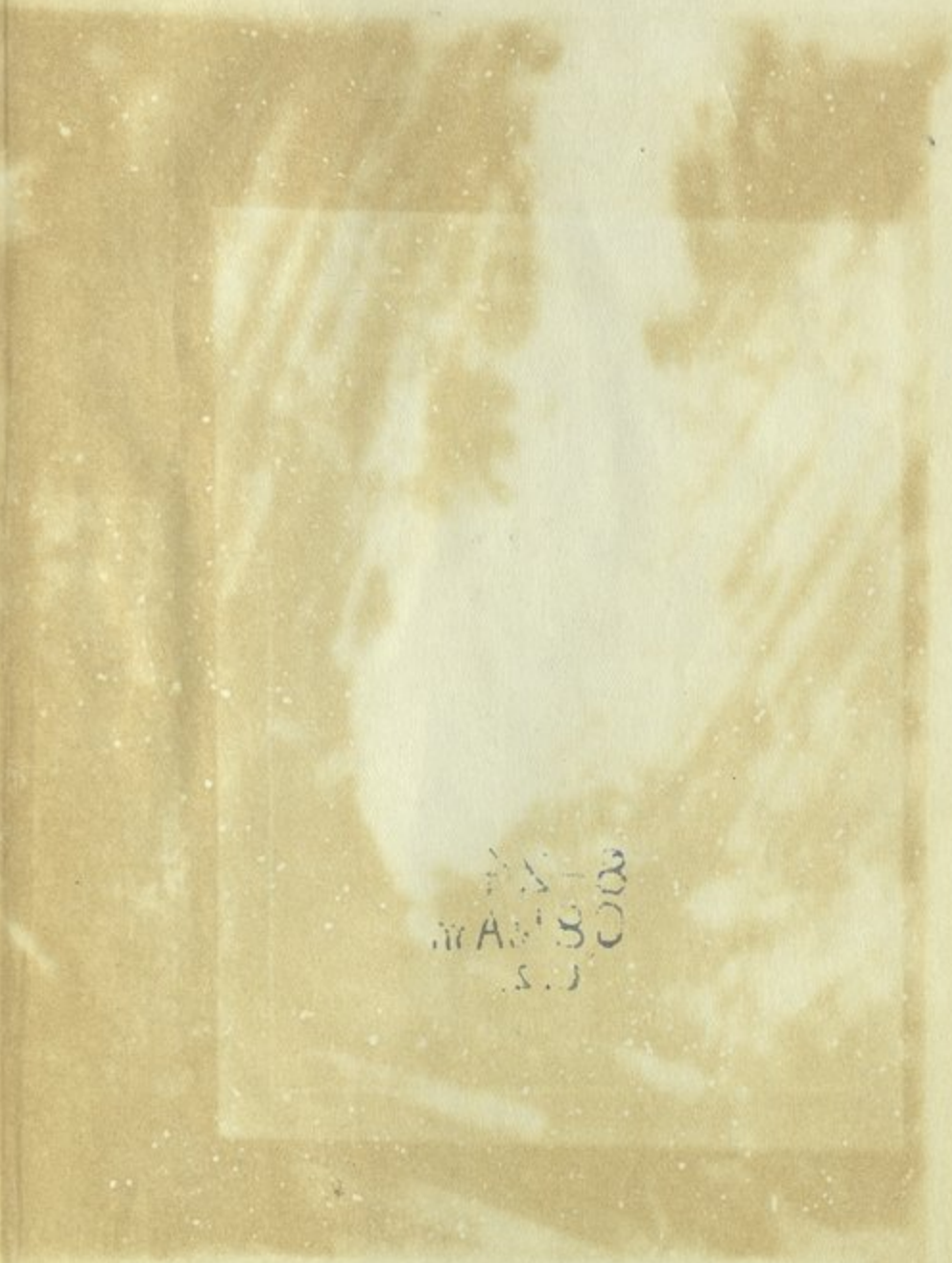

842.4:C81sA[redacted]:c.2
مطران، خليل
السيد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01032280

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT OMNIA HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

842.4
C81sA[redacted]
C. 2.

General Library

842.4
C81sA
c. 2